

ميثاق العهد

في صالک التعرف إلى الله

الدكتور فريد الأنصاري

قيل أيها العبد الحاضر الحزين!.. دحس الله هو باب الفرج! تلك هي القضية الأولى التي أعديت لك من هذه الورقات! ولك أن تشاهد شعاعها الرقيق يفسك إن شئت! فأخرج أولاً من طلعات الذين كانت أعينهم في عطاء عن ذكرى و كانوا لا يستطيعون سماعاً (الكهف: 101) وأدخل بصيرة (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) (ق: 37). فأنظروا قلباً وألقى سمعاً! ثم شاهد معي! فإني كلفات هذه الرسالة مشاهدة! اسمع! أولاً- لتلقي آيات القرآن كلاماً من عند الله رب العالمين! ثم انظر إلى مشرق النور.. هذا رسول الله ﷺ يتصب بين يديك إماماً معلماً وعربياً، يلقي كلمات النبوة بلاغا عن الله! فتأدب بأدب مجالس النبوة وأنصت! اقرأ وتدبر! ثم أنصت!.. تلك كلمات البدء، فخذ لها الآن فترة للتدبر والتفكير! حتى تستطيع الحضور، وتكون من المصيرين!

طبعة الأولى: 1407 هـ
Rimp. Jeddah - Jeddah
Tel: Fax: 00966 417231 - 1 Fax

ميثاق العهد في صالک التعرف إلى الله

مقدمة

إن الحمد لله حمدته، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رب العزة جل جلاله:

﴿وَاذْكُرُوا عَهْدَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَميثاقه الَّذِي وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة: 7)
﴿وَالَّذِينَ يَبْقُصُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ميثاقِهِ يَقُصُّونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوْحَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: 25).
وقال رسول الله ﷺ:
﴿تَعْرِفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّحَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ﴾ ()

رواه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه الطبراني عن ابن عباس، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: 2961.

ثم أما بعد؛

فيا أيها العبد الحائر الحزين! ذكر الله هو

باب الفرج!

تلك هي البصيرة الأولى التي أهديك بين

يَدَيَّ هذه الورقات! ولك أن تشاهد شعاعها

الرفاق بنفسك إن شئت!

فاخرج أولاً من ظلمات (الدين) كانت

أَعْيَنُهُمْ فِي غَطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَبْصُرُونَ

مَنْعًا (الكهف: 101) وادخل بصيرة (إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ

وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق: 37).

فأيقظ قلبك! وألقي سمعك! ثم شاهد معي!

فإنما كلمات هذه الرسالة مشاهدة!

استعد - أولاً - لتلقي آيات القرآن كلاماً من

عند الله رب العالمين!

ثم انظر إلى مشرق النور.. هذا رسول الله ﷺ

يتصب بين يديك إماماً معلماً ومرتباً يلقي

كلمات النبوة بلاغاً عن الله! فتأدب بأدب مجالس

النبوة، وأنصت!

اقرأ وتدبر! ثم أبصر! تلك كلمات البدء

فخذ لها الآن فترة للتدبر والتفكير حتى نستطيع

الحضور، وتكون من المبصرين!

¹ إلقاء السمع: الإلهامات الكاملة الشاملة بما يفهم من المشاهدة

النفس كما سيأتي بيانه بحول الله

فإذا كنت جاهزاً فلنبداً معا قصة السير إلى

الله!

انظر إلى الأرض كيف تجري في دورتها بين

دفتي الليل والنهار، تسير إلى محطتها الأخيرة!

نحن هنا مسافرون كرها لا طوعاً! عمرك

أخذود بأجله هو مدة الرحلة! رحلة ليس بيدك

توقيت انطلاقها، ولا موعد وصولها. وليس بيدك

إيقاف السير ولا لثانية واحدة! هل تستطيع

إيقاف الأرض عن الدوران؟.. الأرض غارية حتماً

يا صاح! والعمر راحل لا يستشرك! فتأمل! فتأني

أيها الإنسان! إنك كادح إلى ربك كدحاً

فملاقية! (الانشقاق: 6). فإما لقاء المحبين، وإما

لقاء المحاربن!

نعم، أنت راحل لا اختيار لك! ولكن لك

أن تختار الاتجاه، ما بين معارج الدرجات ومهاوي

الدركات! أي ما بين طريق العالم العلوي، وطريق

العالم السفلي! فالأرض تدور بين شروق وغروب.

وإنما السعيد من حوّل الاتجاه إلى مشرق النور،

حيث اخلود الجميل.. فإذا السفر يتحول من

وحشة مظلمة إلى أنس عظيم بالله! ذلك طريق

النور، فافتح عينيك: وتدبر، ثم أبصر! فإنما هو

﴿وَاللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: 35).

فاحرص أولاً على تحديد الاتجاه!

أما سلوكه فيكون بثلاثة أسباب تدح

أبوابها، وثلاثة موانع تقطع حجابها!

فأما الأسباب فهي: الدخول في التقرب، وتذوق الحبة، وطلب الولاية. وبعضها وسيلة لبعض، ومخطتها الأخيرة على باب الفردوس الأعلى! فما كان لمن تقرب إلا أن يحب، وما كان للمحب إلا أن يكون محبوباً، وما كان للمحبيب إلا أن يكون ولياً! وهنالك يتصب حصن الله الحصين لوليه الخبوع؛ تسديداً وتأييداً، من قصده بالآذى - يا وثلة! - كان من المالكين! تلك خلاصة حديث الولاية القدسي، الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه، قال ﷺ: إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب! وما يتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه؛ وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا

أحبته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به؛ ويده التي يبطش بها، ورجله التي تمشي بها، وإن سألني أعطيتها، ولئن استعادي لأعبدته! (2) أما كيف تقرب؟ وكيف تذوق الحبة؟ تكون منهم؛ فيأخذهم رهن بمتابعة خطوات الرحلة هذه الرسالة، في قصة التعرف إلى الله، فلنتقدم!

أما الموانع فحيال تشدك إلى ثلاث فتن: فتنة النفس، وفتنة الشيطان، وفتنة الزمان. فالنفس أهواء توجبها الشهوات، وللشيطان وسوسة لا تخش إلا بذكر الله! وللزمان ظلمات بيوتها الإنسان؛ بما عبده من الهوى، وبما وسوس إليه الشيطان!

ولفتن هذا الزمان خصوصاً رهيباً فهل بقي شك في أننا نعيش الآن زمان تتابع الفتن، وتواتر الحن؟ على ما ورد في قول رسول الله ﷺ: تكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم! يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً! ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً! يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا! (3)

وهل بقي شك في أنه قد أطلت فتن بأعيانها وبأسمائها، كما هي في حديث رسول الله ﷺ، من مثل (فتنة القطر) المذكورة فيما رواه أسامة بن زيد ﷺ: (أن النبي ﷺ أشرف على أطعم من أطام

³ - رَوَاهُ الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم:

الْمَدِينَةِ⁽⁴⁾. ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟» أُنِي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالِ بُيُوتِكُمْ، كَمَا رَأَيْتُ الْقَطْرَ! (5)

لقد أنصرتني ﷺ بعين الغيب - مما عساه الله - صورة من الفتن النازلة بالناس؛ من بعده ﷺ فشبهها بالمطر، إذ يعم بسقوطه كل شيء من البلاد والعباد! ورغم أن بعض شراح الحديث قد حققوا مناطه - اجتهداً - على فتنة الصدر الأول، من القرن الأول الهجري، وأولوه بها؛ إلا أن الأمر يبدو أكثر انطباقاً على زماننا هذا! فالتعبير هنا في

⁴ - الْأَطْعَم: بضمتين، هو: كل حصن مبنٍ بحجارة على تربة سريعة جمعة: أطام، وقد كانت هناك في عهد النبي ﷺ عدة

بضواحي المدينة لحراستها.

⁵ - معق عليه.

هذا الحديث النبوي دقيق جدا! وعجيب جدا! وهو أشبه ما يدل على الخيوط الأثرية لأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة، كالقنوات، والأنتريت، والهواتف الجوال، ونحو ذلك مما يث في الفضاء، ثم يؤل عبر الأقمار الاصطناعية على كل البيوت، وعلى كل العمران البشري في البر والبحر، وسائر القنوات، تماما كدول المطر! على حد تعبير النبي ﷺ: إني لأرى مواقع الفتن حلالاً بيوتكم، كمواقع القطر! فمن إذن؟ ينجو من فتن كهذه؟ كيف وهي تطل على الناس كيمطول المطر! إن لم يصبك قطره، أصابك وحله! وإن لم يصبك من غل، أصابك من جانب، بل حتى من أسفل! مهما بالغت في الاحتراز والاحتياط!

أولائي المستقون. ثم يصطليح الناس على رجل خورك على صلح⁽⁸⁾، ثم فتنة الدهيماء⁽⁹⁾، لا تدغ أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمه! فإذا قيل انقضت تماديات! يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً! حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه!

8 - السوراة: هو مؤامرة الإنسان بما يكون عليه الخبوس من مقعده. والصلح: هو عظم الضرر. والمقصود أن الناس في العالم بعد حرب واقتال يهدطلون على أن يرضعوا لحاكم معين، يخس على كورسي أعوج كالضلع، كدرة على هشاشة الالتئاق، وبذلك لا يدوم أمن الناس إلا قليلا، حتى يتغلب عليه بعضه فتطلق الفتن مرة أخرى!

9 - الدهيماء: تصغير ذهيماء، وهي الغلظة الشديدة. كناية عن خطورة تلك الفتنة وفتنةها.

ومن مثل فتنة (الأخلاس)، وفتنة (السراء)، وفتنة (الدهيماء)، وكلها مذكورة في حديث النبي ﷺ، الذي رواه ابن عمر قال: (كنا قعودا عند رسول الله ﷺ فذكر فتنة الأخلاس⁽⁶⁾، فقال قائل: يا رسول الله! وما فتنة الأخلاس؟ قال: هي حرب وحرابة! ثم فتنة السراء⁽⁷⁾: دخلتها من تحت قدمي وجئ من أهل بيتي، يرغم الله مني وليس مني! وإنما

6 - الأخلاس: جمع خلس، وهو تباين الدواب المكنونة من الأيسر واليمين وعورها، مما يوضع تحت الرخال. وفي حديث الحديث كناية عن كثرة الجيوش والمقاتلين.

7 - السراء: هي ما يشتر الناس ويقر بهم. والمقصود هنا أن تفسد الناس بظلمهم لا حقيقة، وإنما هي تستمر بهم بذلك إلى عظيم، والعباد بالحق!

فإذا كان ذاككم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده⁽¹⁰⁾! فالفتنة الأخيرة من هذه الفتن المتعاقبة التي سماها رسول الله ﷺ بالدهيماء: كناية عن شدة ظلمتها واسودادها، وانتشار بلاتها، هي فتنة تستمر زمنا طويلا، ما شاء الله! وهي فتنة عامة شاملة، لا تدع باذية ولا مدينة، ولا دولة، ولا إنسانا، من هذه الأمة الإسلامية إلا أصابته بصورة أو بأخرى - والعياذ بالله - إصابة مؤذية مؤلمة! ولذلك قال: (لا تدغ أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمه)! وأنت إذ تقرأ هذه الأحاديث كلها - مما سبق وما سيأتي - تجد أنها تجمع على هذا!

10 - رواه أحمد، وأبو داود، وإسحاق، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: 4194

النوع من الفن العام الشامل الذي لا يمكن التحرز عنه! تماما كفنّي الإعلام المحمل بالثقافات الغازية المدمرة، والملمع بريح العولمة اللاهبة! لا يكاد لها بها يقتر فظن الناس أنها حمّدت؛ حتى تنطلق من جديد، في غزو جديد! تماما كتعاقب مراحل الاستعمار؛ يشق أنوعه وصنوفه ومستوياته، في القرون الأخيرة من التاريخ الحديث لهذه الأمة!

ثم تتفتق عبقرية الشيطان اليوم عن أسوأ ما عرفته البشرية من الفتن! في اختراق الشعوب، وضربها في أخص خصائصها، وفي جوهر هويتها! فلا سهل دفع مثل هذا البلاء؛ لطبيعته (العولمية) الشاملة؛ ثقافيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وتقنيا،

العظيم، مما ذكره الحق سبحانه في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين: 14)⁽¹¹⁾. أما الذين يبصرون بتور الله؛ فهم يقرؤون علامات ظهور الدجال كما يقرؤون ما كتبه بخط أيديهم!

ومن مثل ذلك ما ورد أيضا في قوله ﷺ: «سَت مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، وَفَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَنْ يُعْطِيَ الرَّجُلُ أَلْفَ دِينَارٍ فَيَسْخَطُهَا! وَفِتْنَةٌ يَدْخُلُ حَرَمُهَا بَيْتُ كُلِّ مُسْلِمٍ! وَمَوْتُ يَأْخُذُ

11- وقال النبي ﷺ في بيان ذلك (إن العبد إذا أخطأ خطيئة تكبّت في قلبه كنهه سوداء! فإن هو تزع واستعمر وثاب، سقل قلبه. وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه؛ وهو الراد الذي ذكره الله تعالى: "كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ". رواه أحمد، الترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وابن عبان، والحاكم، والبيهقي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: 1670.

وعسكريا! ولذلك قال الرسول ﷺ في وصف المهيماء المذكورة: (فإذا قيل انقضت لمادت! يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمَيِّسُ كَافِرًا).

وهذا يؤدي - في نهاية المطاف - إلى اختراق الناس في العالم الإسلامي، إلى (فسطاطين) واضحين، أي: إلى طائفتين. كما في نص الحديث: حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيْمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيْمَانَ فِيهِ. فمادّا ينتظر المسلمون بعد ذلك؟ قال رسول الله ﷺ: مجيها في نهاية الحديث: فإذا كَانَ ذَاكُمْ فَانظُرُوا الدُّجَالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ! ذَلِكَ مَا لَا يَرَاهُ الَّذِينَ غَشِيَ الرَّأْنَ بِصَاتِرِهِمُ! وَالرَّأْنَ: هُوَ (زُفْت) الذنوب والآثام، وجرائم التمرد على الله العلي

في الناس كَقُعَاصِ الْغَنَمِ!⁽¹²⁾ وَأَنْ يَغْدُرَ الرُّومُ فَيَسْمِرُونَ بِثَمَانِينَ بِنْدًا تَحْتَ كُلِّ بِنْدٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا!⁽¹³⁾

فما هذه (العولمة) - التي تدمر البلاد والعباد اليوم والتي هي ربح صهيونية في الصميم - الا قطعة من فتن ذلك الليل، الموصوفة في الحديث السابق بأنها (كقطع الليل المظلم)!

إن الإنسان اليوم يفقد سكينه الإيمان، ويدخل في جحيم الخيرة، حيرة الضلال! لقد بدأت ربح العولمة فعلا تحتل الإنسان قبل احتلال

12- قُعَاصُ الْغَنَمِ: بضم القاف، مرض يصيب الغنم يسببها زيادة، بصورة مفاجئة!

13- رواه أحمد والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: 3608.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
الأوطان! فتجرده من كل قيم الدين، ومن كل
مشاعر الخضوع لرب العالمين! إن فتنة هذا العصر
تصنع الإنسان المتمرد على الله! هذا زمان إعلان
الحرب على الله! فما ينتظر الإنسان غير غضب
رباني شديد؟

إلا أن حديثنا ههنا عن الفتى ليس لذاتها،
وإنما هو لبيان طريق المخرج منها. فقد كان بعض
الصحابة يسألون رسول الله ﷺ عن الخير
ليترودوا منه، وكان بعضهم يسأل عن الشر مخافة
أن يدركه! والفقهاء في زماننا أن يسأل عن الخير
الذي ينجي من الشر! وهو في الحقيقة موجود في
النهجين معا. فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:
كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير،

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
الفرق كلها! ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى
يدركك الموت، وأنت على ذلك! (14)

فهذه التذر من ظلمات الفتن؛ بما هي
علامات شر؛ هي كذلك علامات خير؛ لأن الله
ما أباد جيلا إلا جاء بخير منه! قال عز وجل:
﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ لَقَدْ خَلَقْنَاهَا
أَمْثَلَكُمْ﴾ (محمد: 38) وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا
فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ غَابِطِينَ﴾
(الأنبياء: 105-106).

إن الواجب عليك أيها المسلم أن تبادر إلى
الفرار إلى الله قبل فوات الأوان: (فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ!

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
وكننت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني! فقلت:
يا رسول الله! إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله
بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم.
قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم
وفيه ذخر! قلت: وما ذخره؟ قال: قوم يهدون
بغير هديي، تعرف منهم وتنكر! قلت: فهل بعد
ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة إلى أبواب
جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها! قلت: يا
رسول الله! صفهم لنا! فقال: هم من جلدتنا،
ويتكلمون بالسنتنا! قلت: فما تأمرني إن أدركني
ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم! قلت:
فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذاريات: 50). وإنما
القرار إليه يكون بالتعلق بكتابه العظيم: القرآن
الكريم، على سبيل السلوك إليه تعالى - كما بين
بحول الله - لإدراك قوارب النجاة من فتن هذا
الزمان! والوصول إلى بر الأمان من رضى الرحمن.
فاعلم إذن! أن فتنة هذا العصر هي بداية
خير جديد، وإعلان لبزوغ عصر القرآن! وظهور
بعثة التجديدا فإما أن تتركب مع موكب الربانيين
فتكون من الناجين؛ وإما أن تبقى مع المتخلفين:
فتكون من الهالكين! وإنما (الربانيون) هم المتعلقون
بالقرآن. قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّائِينَ بِمَا
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ﴾ (آل
عمران: 79).

وفي قصبة النجاة والهلاك، قال رسول الله ﷺ: أبشروا... أبشروا... أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا القرآن سبب - أي: حبل - طرّفه بيد الله، وطرّفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن قلّكوا بعده أبدا! (15)

يا أيها الخيران! إن الله تعالى خلقك! فتذكر هذا جيدا! خلقك ولم تكن شيئا مذكورا! وبمقتضى ذلك ترتب على ذمتك حق عظيم! هو

15- رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعبه، وابن أبي شيبة في مصنفه، والطبراني في المعجم، وعبد بن حميد في المنتخب من المسند، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، 713، نشر مكتبة المعارف بالرياض، لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الرشيد، طبعة جديدة بتاريخ: 1415هـ/1995م

حق الخالقية! فماذا أدبت الله تعالى منه؟ ذلك هو السؤال الذي على الإنسان - كل إنسان - أن يرجع إليه؛ ليبدأ مسيرة التعرف إلى الله!

أما أنت أيها المسلم؛ فاعتبار أنه تعالى جعلك (مسلمًا)، وتلك نعمة أخرى اعظم وأكرم؛ فما عليك إلا أن تبادر إلى حمل رسالة القرآن، في زمان تحلى الناس فيه عن القرآن، يا ويلهم!

هذا هو (ذكر) هذا الزمان، زمان الفتنة الصماء السكماء! فذكر! ثم تذكر! عسى أن تكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات!

من أجل ذلك؛ كتبت هذه الرسالة الصغيرة؛ عسى أن تكون نبراسا عمليا، ودليلا تطيقا يتم

بمقتضاه عقد الميثاق على الخير، وإبرام العهد على الصلاح والإصلاح، وعزم القصد على الانطلاق سيرا إلى الله جل جلاله، عبر مدارج الإيمان إن شاء الله. وهي وإن كانت تفيد - من وجه - في بيان منهج التزويل، فإنها لا تغني في بيان منهج التأصيل. إذ ليست موضوعة لذلك أصلا. وإنما ورد فيها من ذلك ما ورد تبعًا، لا أصلًا؛ إذ هي أشبه ما تكون بالذاكرة التي يرجع إليها السائر إلى الله؛ لتبين الكيفيات، وتحقيق المناطات، وترتيب الأولويات، من حيث التطبيق والتفيد خطوات الصلاح والإصلاح.

أما تأصيل النظر فقد فصلناه في كتابنا (البيان الدعوي) (16)، وأما تأصيل العمل فقد بيناه في (بلاغ الرسالة القرآنية). وإنما استخرجت منه بعض هذه الرسالة الصغيرة قصدا؛ لتكون - مع الإضافات - (آلة إجرائية)؛ لتصريف العمل الديني في الواقع الإنساني.

وقد كان الغرض من تقديمها؛ أن تعرض بلاغات الرسالة القرآنية في صورة عهد يُوثق مع الله عز وجل، ومع صالح المؤمنين، عسى أن يكون ذلك حافزا على دوام المجاهدة والمصابرة والرباطة، في طريق بعثة التجديد لهذا الدين، في أنفسنا، وفيمن حولنا من العالمين، تبقى على ذلك يحول

الله حتى يأتينا اليقين! فلنقى الله - إن شاء الله -
مقبلين لا مدبرين، ثابتين لا مبدلين ولا مغيرين.
ذلك العهد وذلك ميثاقه.

ومن هنا جاءت هذه الرسالة -عدا تأصيل
العهد وميثاقه، والثاني: في عهد الذِّكْر، والثالث:
في عهد القرآن والقيام. ثم الرابع: في المختار من
الأذكار.

والله الموفق للخير والهادي إليه.

وكتبه بمكناسة الزيتون فريد بن الحسن
الأنصاري الحزرجي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه
ولسائر المسلمين. الأحد: 21 ربيع الثاني 1424
هـ / 2003/06/22م

الفصل الأول: في تأصيل العهد وميثاقه

الميثاق في اللغة: العهد المحكم. وميثاق
العهد: إبرامه وإحكامه. قال عز وجل: ﴿الَّذِينَ
يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (البقرة: 26).
وفي اللسان: (الوثاقة: الشيء الوثيق المحكم.
والفعل اللازم. يوثق وثاقاً. والوثاق: اسم
الإيثاق، تقول: أوثقتك إيثاقاً ووثاقاً. والحبل أو
الشيء الذي يوثق به وثاق، والجمع الوثق. بمزلة
الرباط والربط. وأوثقت في الوثاق أي شدة (...).
ووثقت الشيء وثيقاً، فهو وثوق. والوثيقة:

اعلم - هادي الله وإياك - أن التوبة إلى الله
عزيمة وإرادة، وأن النقلة من الصلاح إلى
الإصلاح مرابطة ومجاهدة. فتمني الصلاح غير
كاف للتحويل إلى صلاح، وتمني الإصلاح لن
يترب عليه أي إصلاح! ولكن لابد لك من عزيمة
تعزمها، وعهد تقطعه على نفسك، وميثاق تبرمه
مع الله، تُشهد عليه الله عز وجل، وتشهد عليه
نفسك وصالح المؤمنين الذين يُذكروك إذا
نسيت، ويساعدونك إذا فترت. وهذا المعنى
متأصل في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فاستقراء النصوص يفيد بأن كثيراً من جلائل
الأعمال في الإسلام كانت تبني على عهد، وتوثق
بميثاق، يكون ربطة في علق المسلم، فإما وفاء بعد

الإحكام في الأمر، (...) وقد أوثقه ووثقه وإنه
لوثق الخلق. والموثق والميثاق: العهد. (...).
والوثاقة: المعاهدة، ومنه قوله تعالى: "وميثاقه
الذي واثقكم به" (المائدة: 7) (...) والميثاق:
العهد، مفعول من الوثاق، وهو في الأصل: حبل
أو قيد يشد به الأسير والدابة¹⁷.

فالميثاق إذن: عهد محكم يشدك إلى
الدين قولاً وعملاً، ويلزمك بما التزمت به،
و تعبیرنا ههنا (بميثاق العهد)، إنما تقصد
به: توثيق ما تبرمه مع الله عز وجل من
التزام بأمور التكليف، ومن قيام بواجب
البلاغ، وإحكامه على قواعد تلخصها
فيما يلي:

¹⁷ - لسان العرب: (مادة وثق).

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
واما نقضها قال الدين نفسه في كليته عهد: يوثقه
المسلم بإقراره أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول
الله ﷺ. ومن هنا فقد كان رسول الله ﷺ يأخذ
العهود والمواثيق من الناس، ويذكرهم بذلك إذا
نسوا، أو فتروا. وربما اشترط على بعضهم في
ذلك ما لم يشترطه على غيره. كما في الحديث
المستفق عليه: عن جرير بن عبد الله ﷺ، قال:
(بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء
الزكاة، والنصح لكل مسلم)⁽¹⁸⁾. وفي رواية
لأحمد والطبراني بسند صحيح: أنه قال: (فاشترط
علي: "والنصح لكل مسلم!" فورد الكعبة إلى

18 - مستفق عليه

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
لكم ناصح أجمعين)⁽¹⁹⁾. وقيل لسلمة بن الأكوع
ﷺ: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم
الحديبية؟ قال على الموت!⁽²⁰⁾ ولد صيغة
أخرى أبين، وهي: عن يزيد بن أبي عبيد، عن
سلمة ﷺ قال: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظل
الشجرة، فلما خف الناس قال: يا ابن الأكوع ألا
تبايع؟ قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله! قال:
وأیضا! فبايعته الثانية. [قال يزيد:] فقلت له: يا
أبا مسلم، على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟
قال: على الموت!⁽²¹⁾

19 - رواه أحمد والطبراني بسند صحيح.

20 - مستفق عليه

21 - مستفق عليه

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
والمقصود بالبيعة على الموت إنما هو عدم
الفرار في الحرب! لقول البخاري في كتاب الجهاد،
في ترجمة: (باب البيعة في الحرب أن لا يفروا وقال
بعضهم على الموت). وقد جاء مفسرا في حديث
مفضل بن يسار ﷺ، قال: لقد رأيتني يوم الشجرة
والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصنا من
أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة. قال لم
نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا
نفسر⁽²²⁾. وفي حديث عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما قال: بل بايعهم على الصبر⁽²³⁾.
وكل ذلك إنما هو تفسير لما قصده سلمة بن

22 - رواه مسلم

23 - رواه البخاري

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الأكوع من أنه بايع النبي ﷺ على الموت، ولا
تعارض بين الحديثين كما قال ابن حجر.
ولذلك وجد من بايع النبي ﷺ أكثر من مرة
- كما هو ظاهر الأحاديث المذكورة وغيرها -
تكون البيعة الأولى هي بيعة الإسلام، ويكون ما
بعدها على بعض جلائل الأعمال. وإنما المقصود
بالبيعة على هذا المعنى الثاني: إبرام عهد مع الله
على عمل معين سواء كان مؤقتا كما في يوم
الحديبية الذي آل إلى الصلح، أو دائما كما في
النصح لكل مسلم.

وقد أخذ رسول الله ﷺ من الأنصار (بيعة
العقبة الأولى) و(بيعة العقبة الثانية)، وأخذ منهم
ومن المهاجرين (بيعة الرضوان) يوم الحديبية التي

نزل فيها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: 18). وكان رسول الله ﷺ يأخذ من المسلمين (بيعة الإسلام). وقد أخذها ﷺ من آحاد المهاجرين وجموعهم، كما أخذها من الطلقاء، ومن مسلمة الفتح عموما، ومن كل من وفد عليه مسلما رجالا ونساء.

و(بيعة الإسلام) هذه هي التي جعلها الله نص امتحان المهاجرات، كما جاء في سورة المتحنة: وكانت تسمى (بيعة النساء)، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بَهْتَانًا يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ إِذَا عَفَرُ رَحِيمٌ﴾ (المتحنة: 12).

ثم جعل النبي ﷺ بعض أركان الإسلام علامات على استمرار العهد وعدم نقضه. فقال في الصلاة مثلا: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة) (24).

24 - رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان وأبو حنيفة وبريدة وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير 3: 114 وثمة الحديث: (فمن تركها فقد كفر) وقد عني أن المراد المقصود بالكفر هنا كفر الاعتقاد، وإنما هو الكفر بالعمل الذي من خرب عن العصيان المشابه لأعمال الكفار.

(يس: 60-61). وخاطب هذه الأمة في خصوصها فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: 34).

وذم من نقض العهد والميثاق فقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (الرعد: 25). فذلك كان سبب هلاك بني إسرائيل. قال عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة: 13). العهد أو الميثاق، أو ميثاق العهد: باب عظيم من أبواب التوبة إلى الله عموما، ومدرج من

ومن هنا كان الدين ميثاقا وعهدا، فقد ألزم المولى جل وعلا الرسل والأنبياء بالميثاق الذي واثقهم به، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا. لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الأحزاب: 7-8). كما ألزم به أمة المسلمين فقال تعالى: ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة: 7). وقال سبحانه وتعالى مذكرا الناس أجمعين: ﴿إِنَّمَا أَعِظُكُم بِإِنِّي آدَمُ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
مدارج الدعوة، والسير إليه تعالى عبر مراتب
الصالح والإصلاح خصوصاً. وعدم اكتراث
المسلم به يقوده إلى الشرود بعيداً عن باب الله،
بله أن يكون من المصلحين! فالعهد هو أول
مدارج السالكين، ومبتداً منازل السائرين إلى رب
العالمين.

ولقد جمعت لك أيها الحبيب معلم ذلك كله
في كتابنا: (بلاغ الرسالة القرآنية)، نحو إيضاح
آيات الطريق). فبسطنا لك فيه منهجاً تربوياً،
متدرجاً، مؤصلاً بأدلة وقواعده؛ في كتاب الله
وسنة رسول الله ﷺ. ولم نخرج بك في كل ذلك
عن المعلوم من الدين بالضرورة؛ على ما رأيناه من
منهجية تربوية، ومن رعي لميزان الأولويات

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الشريعة، على ما يقتضيه تحقيق مناط الدين في
الزمان والمكان.

وهذه رسالة مختصرة يسترشد بها أصحاب
البدايات، ويتذكر بها أصحاب النهايات. ومن ذا
يستغني عن ذكر الله، والسير إلى تحصيل رضاه؟
فلا بد لك أيها الحبيب لطريق النور. إن
تجردت فعلاً لبعثة التجديد والبلاغ القرآني؛ من
أوراد عملية وقولية تربطك بميثاقك، وترسخ
وفاءك لعهدك. تماماً كما كان الأنبياء والصديقون،
والربانيون المجددون. وإنما أولئك هم العاملون
الذين تنفع بهم الأمة. وأما القاتلون وكفى، فهم
في الناس كعمد الحصى، ولكنهم غناء كغناء
السهيل!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
يعرف أهل الكتاب كتابهم، إذ طال عليهم الأمد؟
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: 16). ذلك
المنطلق، إن أردت فعلاً أن تسلك سبيل الصالحين
المصلحين، وإنما الموفق من وفقه الله.

قبصورة: كيف نوثق العهد؟

سئل نفسك أولاً:

هل حقاً تريد البدء أم أنك تمني فقط؟ هل
عزمت عزمتك لتوثيق التوبة، وإعلان الانطلاق
في مدارج الجهادة؟ سراً إلى الله مع الصالحين
المصلحين؟ أم أنك ما تزال متردداً باحراج

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وكما بُعث رسول الله ﷺ بالقرآن آية آية؛
بصائر للناس، وهدى للعالمين؛ وجب عليك إذا
تحققت عزمتك أن تطلق بالقرآن، ومن القرآن،
في بعثة التجديد آية آية! تنبصر وتبصر، وتعرف
وتعرف، وترجم أخلاق النبوة حركة فطرية في
المجتمع. حركة يكون المسجد مقرها، والقرآن
العظيم دستورها والرسول ﷺ رمزها وقائدها،
والدعوة إلى خير جهادها. بعيداً عن ضيق
المنظمات، وأسر الانتماءات!

وإنما ذلك هو من المعلوم من الدين
بالضرورة كما ذكرنا. وذلك هو أساس الورد
التربوي لرسالة القرآن. فهل أخذت عليه عهدك
وعقدت عليه ميثاقك؟ أم أنك تعرفه فقط كما

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الشیطان، سماعاً لوساوسه؟ لا يكون لك بدءاً يا
صاحبي، ولا لبدئك أثر، حتى تحب نفسك عن
نفسك! وتحقق ذلك معها، وتعرف بالضبط ماذا
تريد!

فأخبرني نيتك في نفسك مع الله أولاً! وإلا
فلن تبرح مكانك! ولن تستطيع مفارقة طينك.
وبقي هنالك، وقد انطلقت قوافل الرُكع السُجّد
بعيداً، تضرب نحو باب الرضى الرباني العظيم!
وخلفتك وراءها وحيداً، ضالاً بمطاهات الدخان،
تدور في ذرّ الحطايا والآثام! وقد سبق
المقرّدون: الداكرون الله كثيراً والذاكرون! (25)
فأين أنت أيها المتمني؟

25 - رواد مسلم

46

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
تلك قوافل المسترشدين الراشدين قد
انطلقت، يقودها - إلى الله - محمد رسول الله ﷺ
سائراً بكل من (صحة). وإنما معه الذين حققوا
(المعية النبوية)! وهم أصحاب الميامين
تبعهم من إخوانه المحجلين! اقرأ هذه الآية
البصرة؛ لنقول لك بعدها كلمة! قال تعالى:
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ
أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاةً فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلِظَ
فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ

47

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وذلك قوله ﷺ: وددت أني لقيت إخواني!
قالوا: يا رسول الله، ألسنا إخوانك؟ قال: بل أتم
أصحابي وإخواني: الذين آمنوا بي ولم يروني! (26)

وفي رواية أخرى مفصلة قال ﷺ: وددت
أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أو لسنا إخوانك؟ قال:
بل أتم أصحابي وإخواننا: الذين لم يأتوا بعد.
قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمته؟
قال: أرايت لو أن رجلاً له خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ، بين
ظَهْرِي خَيْلٌ ذَهَبٌ بَيْهَمٌ (27)، ألا يعرف خيْلَهُ؟ قالوا:
بلى! قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غُرّاً مُحَجَّلِينَ

26 - رواد أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير

7108

27 - جمع أُنْثَرٍ، والنمر: ياصغر على حية الحصان الأصفر، أو نحو ذلك من ذوات الألوان الكحل من غير البياض، والتحجيل: بياض يكون على قنينة، ويسمى جمعهم أنهم، وهو في الخيل: الحصان ذو اللون الواحد من غير لون آخر، أو نحوها، غير مشوب بشيء غير لونه ذلك، والجمع أُنْثَرٌ، وهو ذو اللون الأسود الشديد السواد.

49

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الْكُفَّارِ. وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مُّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (الفتح: 29).

لنذكر الآية كلها أولاً! ثم نخصّ بتدبرك
عبارة: (وَالَّذِينَ مَعَهُ).. إهم أهل (المعية النبوية)
أهل (السِّيَمَى) والسيمى: أو السيماء: العلامة
الدالة على معنى، فهم إذن: الربانيون: أصحاب
علامة الرضى من أثر السجود!

ولست (المعية) ههنا هي المعاصرة الدنيوية.
فقد عاصره كثير من الكفار والمنافقين. وكان
المنافقون معه؛ لكن ليس بمعنى المعية النبوية
الاتباعية! وإنما (صحة) الربانيون! ولذلك دخل
في معنى الآية إخوانه أيضاً. وإخوانه: هم كل من
آمن به من أمته ﷺ ولم يره، وكان من الصادقين!

48

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
من الموضوع، وأنا فرطهم على الحوض! ألا لئلاذن
رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال!
ألا ديهيم: ألا هلم! ألا هلم! فيقال: إنهم قد بدلوا
بعدك! فأقول: سحقا! فسحقا! فسحقا! (28).

ذلك العهد! فذلك ميثاقه، وذلك نقضه!
هو عهد إذن! نقطعه على أنفسنا لله وحده،
مخلصين له الدين إن شاء الله، سائرين إليه تعالى
على طريق الإيمان رغباً ورهبا. معتصمين بكتابه
وبسته نبيه ﷺ استجابة لبلاغات القرآن العظيم،
وقياما بأمرها. وأما باب الدخول إلى ذلك تطبيقا
وتحقيقا؛ فهو أعمال وأقوال. وبيان ذلك هو كما
يلي:

28 - رواه مسلم

50

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
أخرى أكثر تفصيلا - أسأل: ماذا تعرف عن الله؟
وما منزلة قلبك بين الخوف والرجاء؟ فإما أن
القلب ينعم بحمال (الوجل)، كلما استار بخلال
التعرف إلى الله؛ وإما: «فَقَوْلٌ لِّلنَّاسِ قُلُوبُهُم مِّنْ
ذِكْرِ اللَّهِ أَوْتِلَتْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (الزمر: 22).
وأما الثانية فهي قوله تعالى: «لَاؤْمِنُ يَعْشُ عَنْ
ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيْضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ»
(الزخرف: 36). وذلك طريق من لم يعرف نور
الذكر إلى قلبه مسلكا! فإني يكون من المبصرين؟
ولسك الآن أن تسأل: كيف الخروج إلى مسلك
النور؟ كيف التخلص من غفلة الغشوة عن ذكر
الرحمن؟ ثم كيف يكون تحصيل القلب الوجل من
ذكر الله؟

29 - رواه مسلم

52

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

الفصل الثاني: في عهد الذكر

نستهل هذا الفصل ببصيرتين من كتاب الله
تعالى، هما دلالة النور للقلب السالك في ظلمات
الحريرة والسيه. فاقرا وتدبرا ولا تعجل حتى
تستكمل شعاع النور!

فأما أولاهما فهي قول رب العزة جل وعلا:
«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ وَادَّعَاهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» (الأنفال: 2). هذه بصيرة من
بصائر القرآن، ذات مسلك عجيب في التعرف
إلى الله. فاسأل نفسك أين أنت منها؟ أو - بعبارة

51

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

تبصرة: في أن الذكر هو مسلك المفردين السابقين!

الذكر هو مفتاح البصرة! هل تريد أن
تكون من المبصرين؟ هل تشاق إلى مشاهدة
الأنوار الربانية؟ وهي تتدفق من بصائر القوالت
تشمل الكون كلها نعم؛ إذن أذكر الله كثيرا!
ولا خط في السبق إلى ذلك لمن عقل عندا اقرا
هذا الحديث النبوي الشريف وتدبر! عسى أن
تكتشف سر السير إلى الله. قال رسول الله ﷺ:
«سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ! قَالُوا: وما المفردون يا رسول
الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» (29).

53

وكيف لمن ذكره الله في ملئه الأعلى ألا يكون من السابقين؟ وإنما هو شرط واحد، وعهد واحد! ذلك قول الله تعالى في محكم القرآن العظيم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا﴾ (البقرة: 152). وكانت مهمة موسى وأخيه هارون من أنقل العزائم في تاريخ الرسالات قبل نبينا محمد ﷺ! إنها دعوة فرعون! ذلك الطاغية الذي قال في الناس: أنا ربكم الأعلى! وإنما كان زاد موسى وأخيه في طريقهما إليه ذكر الله! ومع ذكر الله يتضاءل الجبل حتى يكون مثل حصة! قال عز وجل: ﴿أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي. أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيًّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى. قَالَا رَبَّنَا إِنَّا

نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى. قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: 42-46).

إن المعية الربانية كانت حاصلة مع الاستمرار في الذكر، وعدم الفتور منه؛ فأولاً نبينا في ذكري ﷻ! والمعية كفاية الله العبد في الدنيا والآخرة! وإنما هي حال المقربين السابقين، من الملائكة والأنبياء والصديقين! ألم يقل عز وجل في حق الملائكة العبدية: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: 20). لا يفترُونَ!

وهي معية تحيب وتقريب، قال النبي ﷺ في الحديث القدسي: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته

في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني عشي أمته هرولة ⁽³⁰⁾. فليس عبثاً إذن؛ أن يكون الذكر أفضل - في بعض مراتبه - من إنفاق الذهب والفضة، بل من الجهاد في سبيل الله! وذلك نص الحديث العجيب الذي رواه الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه، قال: (قال النبي ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَذَابَكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا بَلَى، قَالَ: ذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى!» فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ما

شيء أُنَجَّى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذَكَرِ اللَّهِ! ⁽³¹⁾ وهذه مرتبة خاصة من الذكر سيأتي بيانها بحول الله.

تلك هي القصة إذن! وتلك هي الطريق، فأتين الذاكرون؟ أين حصتك من الذكر صباحاً؟ وأين هي حصتك مساءً؟ ألم يقل الله تعالى للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: 41-42). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

³¹ - رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: 139/3 وصححه ابن ماجه: 316/2

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٠-١٩١﴾ (آل عمران: 190-191). وما زال رسول الله ﷺ يوصي بالتزام الذكر ومداومته عسى أن يكون المؤمن من المتشبهين! فعن عبد الله بن بسر³² عن أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شراخ الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أنشئت به! قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله⁽³²⁾ هكذا (رطباً)، كأنما هو بقلته أو زهرة أو ثمرة، تستمد

32 - روى أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن عبد الله بن بسر، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم 7700.

الماء من نبع دائم يفيض بالحياة! والذكر حياة الروح. وكأنما اللسان جلده الممتد إلى الغدير. أين أنت يا أخي من ذلك كله؟ كلمة واحدة نقولها لك، فانظر ماذا ترى! كلمة واحدة ولن نزيد: (سَبِّحْ الْمُفْرَدُونَ!). وإنما الحكم بين المتنافسين هو الطريق!

تعبئة: كيف نذكر الله؟

لا يكون لك انطلاق حقيقي إن لم تحقق هذا الأمر أولاً، وهو جواب: كيف يكون الذكر؟ ما طبيعته؟ ما مادته؟ ما ظروفه؟ ما مسلكه؟ ذكر الله عبارة عن غذاء تعبدي تنتفع به النفس، وتقوى على السير إليه تعالى. وبدونه قطعاً لا يكون شيء! لا سر ولا وصول! وإنما أعمال الإسلام كلها ذكر: بدءاً بالإقرار بالشهادتين حتى الصلاة والصيام والزكاة والحج، وما تفرع عنها جميعاً من صالح الأعمال، سواء في ذلك الواجبات والنوافل. وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَيَهْوِ لَهُ قَرِينَ﴾ (الزخرف: 36). وقوله:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿طه: 124-126﴾. فالذكر هنا هو الإيمان والإسلام. وإنما سمي ذكراً لأنه إقرار بما عهد الله إلى بني آدم في عالم الذر من التوحيد، وبما طبع عليه فطرتهم من الإيمان، السابق إلى النفس ابتداء. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنْيَانِ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 172). وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
عَبُدُوا مَعِي. وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
(يس: 60-61).

وهذا المعنى لم يكن الدين كله إلا (تذكراً) ولم تكن مهمة الرسل إلا (تذكيراً)، تذكيراً بالعهد الأول، الذي أخذه الله على بني آدم في الوجود النفسي من عالم الغيب. وهذا المعنى أيضاً لم يكن الرسول - أي رسول - إلا (مذكراً)؛ ولذلك قال تعالى لحمد الله بأسلوب اختصر هذا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (الغاشية: 21).

والناس عندما يتذكرون حقيقة وجودهم، وطبيعته الابتدائية؛ يشرعون في العودة إلى حالهم عبر مدارج الدين. فالؤمن الحق هو الذي يذكر هذه الحقيقة؛ فلا يفرغ الرضاء، ولا تزلزله المصيبة.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
بل إنه عند المصيبة يتقوى بهذه الحقيقة: العودة إلى عالم الغيب الذي منه كان البدء. وتلك هي كلمة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، التي تقال عند وقوع البلاء. قال عز وجل: ﴿وَلَتَبْلُوثَكُمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشُّرَرِ وَالصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 155-157).

لكن قد يطلق لفظ (التذكر) في الشرع بمعنى أخص، فيقصد به: ما شرعه النبي ﷺ من العبادات القولية، أو اللسانية، التي يرددها العبد في أوراده اليومية، ويستحرك بها لسانه، تسيحاً

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
وتحميماً، وتخليلاً، وتكبيراً، ولحو ذلك. وهو المراد - كما سبق إirاده - من قول رسول الله ﷺ: فيما رواه الصحابي الجليل عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّهَ بِهِ قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ!

إلا أن هذا المعنى الخاص لا يخرج عن المعنى الكلي الذي يراد به تذكرو الحقيقة الإيمانية الكبرى، التي هي مناط الدين كله، والراجعة إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته. فوظيفة الذكر بهذا المعنى الخاص هي تجديد معنى الإيمان في النفس، وتوسيعها عليه، وترقيتها بمدارجه ومراتبه؛ حتى

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
تكون من أهل البصائر، ومشاهدة الحقائق في الآيات القرآنية والكونية⁽³³⁾.

33 - لا يجوز للمسلم الذي صحت عقيدته؛ أن يعمل في القول بالمشاهدات، بما يخالف أصول العقيدة؛ كالذين يعتقدون بأن الذكر يكشف حجب الغيب للإنسان ليقراً في الروح المحفوظة فهذا من المبروتات عن ترهات أهل الخرافات، وأباطيل الشطحات. وقد أجمع العارفون الشققون على ألا حقيقة إلا ما صدر عن مشكاة الشريعة، منضبطاً بضوابط العقيدة الصحيحة؛ وإنما الموفق من وفقه الله.

وأما الروح المحفوظ فهو ديوان الغيب والقضاء والقدس فلا يحد من الأشياء زعم علياً أنه يقرأ فيه. إلا ما جاء وحاصلاً ما وقواطع القرآن قاطعة لكل جدل عقيم قال سبحانه مخاطب نبيه محمداً ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَتَمْسِكُ إِلَهَ الْقُتُبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا بَنُوسَى إِلَهِي﴾ (الأنعام: 50). وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ فِي الْقُتُبِ﴾ (آل عمران: 179) وقال أيضاً: ﴿قُلْ لَا تَدْرِي مَا فِي

وقوله ﷺ في الحديث المذكور: لا يزال
لِسَالِكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ دَالٍ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ،
فعبارة (لا يزال) تدل - في العربية - على بقاء ما

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبِ إِلَا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ
يُتَعَلَّقُونَ (الزلزال: 65) وغاية ما أنت عن النبي ﷺ من ذلك أنه منع
صوت أفلام الملائكة الذين يستنسخون من الموحى المحفوظ! نعم
سمع ولم يره! هذا ما صح به الحديث، فقد أخرج البخاري أنه
ﷺ قال: (عُرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه خريف
الأفلام)، فعجبا أن يطلع أحد من أمة محمد ﷺ على ما لم يطلع
عليه محمد نفسه! أليست هذه دعوى عريضة، هي أكثر غلوا
من دعوى النبوة؟ قافراً وتديراً ثم نبهنا:

وَأَمَّا كَثُوبَاتُ الْمُؤْمِنِ وَمَشَاهِدَاتُهَا فَمِنْهَا غَايِبَةٌ تَجْرُ
سَفَاقِ الْكَوْنِ وَالْفَرَانِ فِي الْكَيْسِ وَفِي الْمَجْتَمَعِ وَكَفَى بِهَا حَقِيقَةً
عَظِيمَةً! فَمَا الْقَلْبُ وَتَعْيِيرُ الْوَحْدَانِ؟ وَلَكِنْ (لَمْ يَكُنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ
أَوْ أَقْبَى الشَّمْعِ وَهُوَ شَهِيدٌ) (ق: 37).

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
والاستحضار: مطالعة الروح لمقاصد العبارات من
الأذكار والآيات، وتبين آثارها في النفس، وتبع
مشاهدها في الكون؛ تفكرا وتديرا، وذلك معنى
حديث النبي ﷺ عن (الإحسان): أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ
كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ! (35) أما
ترديد الآيات، وترجيع العبارات بلسان غير
موصول بالقلب، فعمل عديم الفائدة. وما الذكر
إِنْ لَمْ يَكُنْ تَذْكُرْ لَغَايِبِ الْمَعَانِي، وَشَاوِدِ الْمَقَاصِدِ؟
تذكر ماذا إذن وتشاهد؟ كيف تبصر وأنت تلقي
بالكلمات في تيه العمى! لا بد من مطابقة التعبير
للتفكير، وإلا فلا ذكر!

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
دخلت عليه، وتحكم بدوامه. وإنما قال ﷺ ذلك؛
لأن النفس في سيرها إلى مولاهما - بعد إيمانها
وصلاحها - قد قل وتقص، أو تصيبها الوحشة، أو
قد تغفل؛ فتشرد وتضل وتضطرب؛ فتحتاج إلى
تذكير دائم يجدد لها إيمانها ويزكيه؛ حتى تطمئن
أحوالها؛ ومن هنا قوله تعالى في هذه الآية اللطيفة
العجيبة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ
أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28).
وقول النبي ﷺ: مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا
يَذْكُرُهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ! (34).

فَالذِّكْرُ إِذَنْ: حُضُورٌ وَاسْتِحْضَارٌ، فَالْحُضُورُ:
حُضُورُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى عَابِدًا مُسْتَلِماً.

34 - مفتاح عليه، واللفظ للبخاري.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
ولسك أن تشاهد أحوال من سماهم الله تعالى
بأولي الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُحُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 191) ذلك قلب العهد
الحب له واردان اثنان: لسان يتذكر وذهن يتفكر
وبهما معا تفتح له نوافذ المشاهدات ملء الكون!
فكل كلمة من الذكر تنساب على اللسان هي
سفينة فضائية، تحملك غروجا إلى الرحمن، عبر
ملايين الأفلاك والجرات، فتخترق بك الطبقات
تلسو الطبقات، من المدارات والفضاءات! فأعظم
لها سياحة الذاكرين! في رياض الملك والملوك!

صِثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
هنا إذن، نَحْضُر أهمية مجالس القرآن، حيث
تُفَعِّح المذاكرة والمدايسة في تلقي منهج التفكير
والشدبر، فاسلك مجلس الذاكرين الربانيين،
وادخل مدرسة البصائر، وتعلم كيف تذكروا إن
كلمة واحدة من التسييح، أو التهليل، أو التكبير،
لكفيلة بأن تلقي بك في فضاءات أخرى، تبعث عن
كوكب الأرض بملادين السنين الضوئية! وتدبر
هذا الحديث النبوي العجيب: وعليك بذكر الله
تعالى وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في السماء،
وذكرك في الأرض⁽³⁶⁾ فأركب سفينة الذكر يا
صاح ثم انطلق!

⁽³⁶⁾ - رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَحَسَنَهُ
الْإِسْنَاءِيُّ. انظر حديث رقم: 2543 في صحيح الجامع.

صِثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
ثم يحسن بك أيضا أن تقرأ ما أوردناه
بالهوامش - أسفله - من تأصيل عن النبي ﷺ، في
فضل الآيات المعينة، وصيغ الأذكار النبوية
المختارة، فهو من خير ما يساعد المؤمن على
استحضار مقاصد الذكر عند كل عبارة.
ولك في هذه الإشارات - إن شئت -
بدايات. وذلك من أجل تبين مسلك تطبيقي
للمذكر. ولنجعله على قسمين: الأول ذكر قرآني،
وهو في بيان كيفية الاشتغال بالقراء باعتبار
(ذكرًا)، والثاني: ذكر نبوي، وهو بيان منهج
التعامل مع الصيغ السنية في ذكر الله تعالى.

صِثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
تبصرة: في مسلك الذكر القرآني:

القرآن العظيم رأس المذكر، ومفتاح الذكر،
وناح الذكر، بل القرآن هو المذكر! قال سبحانه:
﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَقُولُنَّكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا
سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (القلم: 51-52).
والقرآن أيضا به يكون الذكر! قال سبحانه:
﴿إِصْرَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (ص: 1). والفتنة
حيثما يطوف بها الشيطان في كل مكان؛ يعمي بها
البصائر، فيحفظ الله الذاكرين! قال سبحانه: ﴿إِنْ
الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: 201).

صِثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
**الإشكال الآن هو: كيف نُحْصِلُ الذكر
بالقرآن؟**
هذا هو السؤال الأهم الآن؛ لأنه ليس كل
قارئ للقرآن هو بذاكر!

تبصرة: في أخذ القرآن بمنهم

(التلقي)

كثيرون هم أولئك الناس الذين يتلون القرآن اليوم، أو يستمعون له على الإجمال، على أشكال وأغراض مختلفة. ولكن قليل منهم من (يتلقى) القرآن!

وإنما يؤتي القرآن ثمار الذكر حقيقة لمن تلقاه! وإنما كان رسول الله ﷺ يتلقى القرآن من ربه قال تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: 6).

ولا يزال القرآن معروضا لمن يتلقاه، وليس لمن يتلوه فقط! وما أدق وأجمل كلمات الشاعر الباكستاني محمد إقبال في هذا! إذ قال رحمه الله:

تجلى النور فوق الطور باقي

فهل بقي الكليم بطور سيناء؟

والتلقي في اللغة: هو الاستقبال عموماً. كما في قول الله تعالى: ﴿لَا يَخْزِيهِمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: 103) (37).

وأما تلقي القرآن: فهو استقبال القلب للوحى، إما على سبيل النبوة، كما هو الشأن بالنسبة للرسول ﷺ. على نحو ما في قول الله تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: 6). إذلقى الله عليه القرآن بهذا المعنى! كما فسره الراجب الأصفهاني من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا

37- انظر ذلك مفصلاً في مفردات الراجب مادة: ﴿أَنْتَ﴾

وبيان ذلك أن المسلم يتعامل مع القرآن تلاوةً واستماعاً على أنه (تعزيل)، وليس فقط على أنه (إنزال). فقد فرق علماء القرآن بين (التزليل) و(الإنزال)؛ على اعتبار أن الإنزال: هو ما وقع من نزول القرآن من لدن الله تعالى، إلى السماء الدنيا. وهو ما حصل في ليلة القدر. كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: 1). وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ﴾ (الدخان: 3).

وأما التزليل: فهو ما وقع من نزول القرآن في الناس، على وقائع معينة في التاريخ: تعالج قضايا النفس واجتماع. وهو ما قصده العلماء بمعنى نزول القرآن (مُتَجَمِّعاً): أي مفرقاً على

سئلقي عليك قولاً ثقيلاً (الزمل: 5) قال رحمه الله: (إشارة إلى ما حُمِّل من النبوة والرحي) (38).

وإنما أن يكون (تلقي القرآن) بمعنى: استقبال القلب للوحى، على سبيل الذكر. وهو عام في كل مؤمن أخذ القرآن بمنهج التلقي على ما سبقه بعد محول الله. فذلك المنهج هو الذي به تبعت حياة القلوب. لأنها تتلقى آنذا القرآن (روحاً) من لدن الرحمن. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا. مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ. وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنُ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا. وَأَنْتَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: 52-53).

38- المفردات، مادة: (القي).

آيات، تنزل عند الحاجة لتعالج هذه الآفة أو تلك، أو لتؤسس هذا الحكم أو ذاك، في عملية بناء الإنسان، وعمران الوجدان، التي استمرت طيلة فترة نزول الوحي في المجتمع الإسلامي النبوي. وذلك هو المذكور مثلاً في قول الله تعالى: ﴿لَحْمَ تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: 1-3). فالتنزيل: تفريق القرآن آيات، آيات - لما ذكرنا - عند نزوله على قضايا الناس. وقد ذكر الله سبحانه المعنيين معاً بشكل واضح، في سورة الإسراء، من قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ

لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء: 105-106).

ومن هنا قال الراغب الأصفهاني: (الفرق بين "الإنزال" و"التنزيل" في وصف القرآن والملائكة: أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً، ومرة بعد أخرى. والإنزال عام. ...) وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: 185)، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: 1)، إنما خص لفظ (الإنزال) دون (التنزيل)، لما روي: (أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل لجمعا فنجما). أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ﴾، قال: أنزل القرآن في

ليلة القدر، ثم نزل به جبريل على رسول الله نجوماً، بجواب كلام الناس⁽³⁹⁾.

(وتلقى القرآن) بمعنى استقبال القلب للوحي، على سبيل الذكر، إنما يكون بأخذه - فضلاً عن كونه إنزالاً - على أنه تنزيل. حيث يستعمل معه العهد، ويتدبره آية، آية، باعتبار أنها تنزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فتبعث قلبه حياً في عصره وزمانه! ومن هنا وصف الله تعالى العبد الذي (يتلقى القرآن) بهذا المعنى بأنه (يُلْقَى) له السمع بشهود القلب! قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: 37). ذلك هو الذاكر

³⁹ - مفردات غريب القرآن، مادة: (نزل).

حقاً، الذي يحصل الذكري ولا يكون من الغافلين.

أن تتلقى القرآن: معناه إذن؛ أن تصغي إلى الله يخاطبك! فتبصر حقائق الآيات وهي تنزل على قلبك روحاً. وبهذا تقع البقطة والتذكر، ثم يقع التخلق بالقرآن، على نحو ما هو مذكور في وصف رسول الله ﷺ، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لما سئلت عن خلقه ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن! ⁽⁴⁰⁾.

وأن تتلقى القرآن: معناه أيضاً أن تنزل الآيات على موطن الحاجة من قلبك ووجدانك! كما يتنزل الدواء على موطن الداء! فإدام السخط لما

⁴⁰ - رواد مسلم.

أَكَلَ هُوَ وَزَوْجُهُ مِنَ الشَّجَرَةِ الْخَرْمَةِ؛ ظَهَرَتْ عَلَيْهِمَا أَمَارَةُ الْغَوَايَةِ؛ بِسُقُوطِ لِبَاسِ الْجَنَّةِ عَنْ جَسَدَيْهِمَا! فَظَلَّ آدَمُ ~~الْخَلْقَ~~ كَثِيئًا حَزِينًا. قَالَ تَعَالَى: (فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ. وَغَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (طه: 121). وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى (تَلَقَّى) كَلِمَاتِ التَّوْبَةِ مِنْ رَبِّهِ فَتَابَ عَلَيْهِ؛ فَكَانَتْ لَهُ بِذَلِكَ شِفَاءً! وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (البقرة: 37). فَهُوَ ~~الَّذِي~~ كَانَ فِي حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَى شَيْءٍ يَفْعَلُهُ أَوْ يَقُولُهُ؛ لِيَتُوبَ إِلَى اللَّهِ، لَكِنَّهُ لَا يَدْرِي كَيْفَ؟ فَانْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ - بِرَحْمَتِهِ تَعَالَى - كَلِمَاتِ التَّوْبَةِ؛ لِيَتُوبَ بِهَا هُوَ وَزَوْجُهُ إِلَى اللَّهِ

تَعَالَى. وَهِيَ - كَمَا يَقُولُ الْمُفَسِّرُونَ - قَوْلُهُ تَعَالَى: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الأعراف: 23). فَسُجِرَ مَا أَنَّ تَزَلَّتِ الْآيَاتُ عَلَى مَوْطِنِ الْحَاجَةِ مِنْ قَلْبِهِ؛ حَتَّى نَطَقَتْ بِهَا الْجَوَارِحُ وَالْأَشْوَاقُ؛ فَكَانَتْ لَهُ السُّبُوحَةُ خُلُقًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ! وَكَانَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا أَوَّلَ التَّوَّابِينَ! وَذَلِكَ أَخَذَهُ كَلِمَاتِ التَّوْبَةِ عَلَى سَبِيلِ (التَّلَقِّي)؛ (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ)!

فَعِنْدَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ إِذْنًا؛ اسْتَمِعْ وَأَنْصِتْ! فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ بِخَاطَبِكَ أَنْتَ! وَادْخُلْ بِوُجْدَانِكَ مَشَاهِدَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّكَ فِي ضِيَاةِ الرَّحْمَنِ!

هَنَّاكَ حَيْثُ تَرَى مِنَ الْمَشَاهِدِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ؛ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ!

تَبَصُّرَةٌ فِي مَسَلِكِ الذِّكْرِ النَّبَوِيِّ:

وَأَمَّا الذِّكْرُ النَّبَوِيُّ؛ فَلَأَنَّهُ لَا يَكَادُ يَحْصُرُ لِكَثْرَتِهِ؛ فَإِنَّا نَنْتَخِبُ مِنْهُ نُمُودَجًا وَاحِدًا لِلتَّمَثِيلِ التَّطْبِيقِيِّ، وَلِنَجْعَلَ (التَّسْبِيحَ) لَهُ مَقَالًا:

- (سُبْحَانَ اللَّهِ)؛ كَلِمَةٌ إِجْلَالٌ وَتَعْظِيمٌ؛ تَزِيهًا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. إِذَا كَلِمَةٌ تَنْبَعُ مِنْ قَلْبٍ عَرَفَ اللَّهَ؛ فَانْبَهَرَ بِعَظَمَةِ سُلْطَانِهِ وَجَلَالِ رَبُّوبِيَّتِهِ. وَأَدْرَكَتْهُ الْهَيْبَةُ وَالْخَشْيَةُ؛ لَمَّا رَأَى مِنْ آيَاتِ الْمَلِكِ وَعَظَمَةِ الْمَلَكُوتِ! أَنْبَصَرَ ذَلِكَ مِثْلًا فِيمَا أُنْكِرَهُ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ عَلَى الْكَفَّارِ! قَالَ سُبْحَانَهُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ زُورُوا اللَّهَ حَقَّ قُدْرِهِ وَالْأَرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الزُّمَرُ: 67).

ميتاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
 أن تسبح الله معناه أنك تعبد به بالتزويه.
 والتزويه أن تعتقد بقلبك، وتدرك بوجدانك أنه
 سبحانه أعلى وأجل من أن يحيط به فكر، أو أن
 يتصوره خيال! إنه تعالى فوق التشبيه وفوق
 المثال! لا يحيط به شيء، وهو يحيط بكل شيء! أن
 تسبحه يعني أن تنسب إليه تعالى كل صفات
 الكمال والجلال والجمال، مما وصف به تعالى
 نفسه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى. فهو هو،
 كما وصف نفسه بمراحده، ومقاصده، جل وعلا.
 أن تسبح الله يعني أنك تترحمه عن خلقه، تشعر
 بوجدانك أنه تعالى مفارق لهم، متعال عنهم.
 واستحضار هذه المعاني يكون بمشاهدة آيات
 العظمة في الخلق، وكمال الجمال في دقة الصنع.

ميتاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
 تأمل جيداً معنى الخلق! ركز ذهنك عند المشاهدة
 البصرية، وعند الملاحظة القلبية! وأبصر كيف
 كان هذا الكون العظيم المستند من عالم الشهادة
 إلى عالم الغيب؟ أبصر كيف تحول الطين في جسم
 آدم إلى لحم ودم، وإلى جسم ينبض بالحياة
 يتذوق ويبصر، ويحس ويشعر، ويضحك ويبكي،
 ويحزن ويشتهي، ويخاف ويأمن... إلخ. أبصر كيف
 تحول اللاشيء إلى شيء! وكيف تحول العدم إلى
 وجود! اقرأ حروف الكائنات في كتاب الكون
 الكبير! اقرأ باسم ربك الذي خلق (العلق: 1)

وهذا يقضي منك رحلة كونية عظيمة، لا
 تنتهي إلا بانتهاء قدرتك على تتبع الروحي

ميتاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
 وتسرح في الفضاءات؛ وارقب أمم الأرض من
 سائر الكائنات وسائر الأنواع، وأبصر أمم
 السماء، وأبصر حشود الملائكة عملاً طبقات
 السماوات، على امتدادات لا يحصرها خيال! قال
 النبي ﷺ: إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا
 تسمعون: أطت السماء وحق لها أن تنطأ ما فيها
 موضع أربع أصابع؛ إلا وملك واضع جبهته لله
 تعالى ساجداً والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
 قليلاً، وليكنتم كثيراً! وما نلذذتم بالنساء على
 الفرش! ولخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله (41)

41- رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والمالك في صحيح
 مرفوعاً، وحسنه الألباني، انظر حديث رقم: 2449 في صحيح
 الجامع.

ميتاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
 للفضاءات! ترحل في الوجود لتشاهد مدارات
 الكون، وطبقات الأجرام والسماوات.. وتبصر
 بعين القلب، تشاهد بروحك العوالم الأخرى..
 وتذكر الله: إنه خالق كل هذا! إنه خالق كل
 شيء. إنه فوقهم جميعاً، متعال عنهم جميعاً. إنه
 ليس له مثيل: سبحانه الله! أي خلق كل هذا
 وكيف؟ تلك معجزة الخلق، وتلك محبرة العقول!
 فقل: سبحانه الله، سبحانه الله، سبحانه الله... حتى
 ينهي النفس، ثم جدد: سبحانه الله!

هذه غلة تسترزق قوتها، وتلك نخلة تسلك
 سبل ربها، وتلك بعوضة تشعر بالحياة، عجا
 سبحانه الله! وأم أخرى أدق وأصغر: لا تدرك
 بالنظر العادي، غلاً أحشاءنا وتسبح في دمائنا،

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
والملائكة على تلك الحال من العبادة أبداً إلى ما
شاء الله. قال جل وعلا: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
يَسْتَخْسِرُونَ. يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾
(الأنبياء: 19-20)

وتسبح الأمم في الأرض لله طوعاً وكرهاً.
وكل الخليقة أمة. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ ذَاتَةٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا ظَالِرٍ يَنْظِرُ بِحَاجَتِهِ إِلَّا أُمَّةٌ أُمَّاتُكُمْ مَا
فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ﴾
(الأنعام: 38). وأبصر بعد ذلك كيف يسترزق
الجميع مولاهم الملك الرزاق؟ هو وحده يرزق،
هو وحده يعطي، هو وحده يمنع، هو وحده يحيي،
هو وحده يميت، هو (الحي القيوم)، يقوم بأمر

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الكون كل الكون، خلقاً وإحياء، وإماتة،
وتقديراً. لا يتحرك شيء في الكون - مهما دق أو
صغر - إلا بإذنه! قال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ
الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَا يَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي
ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا زَبْذَبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ﴾ (الأنعام: 59) ويدبر كل شيء! لا يشغله
شيء عن شيء! وذلك اسمه (القيوم). ونحن
خليقته نسأله في الزمان الواحد، ويعطي كل
واحد مسأله! وهو تعالى فوق الزمان والمكان، لا
يحصره زمان ولا يحيطه مكان. بل هو بكل شيء
محيط، جل وعلا، سبحانه هو خالق الزمان
والمكان!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
ثم انطلق! انطلق إلى مولاها! ومُرَّ على
العوالم مرة أخرى، وشاهد كل ذلك، وقل:
سبحان الله! تعالى الله عن كل شيء علواً كبيراً.
أخي يا رفيق الطريق! ليس كل من نطق بعبارة
التسبيح قد سبح الله!.. فسبح الله! سبح الله!
سبح الله!

تلك لمعة من لمعات التسبيح، وومضة من
ومضاته، ومضة أقل من أثر برق! ضرب هنا ثم
انتهى قبل أن تدركه عين!

وكما يكون التسبيح رحلة كونية لتزويه رب
الكون؛ كذلك يكون التحميد (الحمد لله) رحلة
كونية لشكر رب الكون، ويكون التهليل (لا إله
إلا الله) رحلة كونية لتوحيد رب الكون، ويكون

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
التكبير (الله أكبر) رحلة كونية لتعظيم رب
الكون! ولكن لكل عبارة مراكبها، ولكل رحلة
مشاهدها، ولكل نعمة ذوقها وجناها؛ فاذكر الله!
واقراً إن شئت قول الله تعالى: ﴿إِنْ فِي خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَايَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 190-191).

وسبق إيراد الحديث النبوي العجيب:
(وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن) فإنه
روحك في السماء، وذكرك في الأرض! فانظر

وتدبر: هل أنت فعلا ممن يقرأ ويذكر؟ أم أنك لم تبدأ بعد؟ وإذن ماذا تنتظر؟ وهذا العمر يمضي لا ينتظر أحدا!

تبصرة: في مجلس الذكر

الدخول في الذكر يحسن أن يكون بمجلس مخصص له ابتداء، فذلك أفضل؛ لشهادة السنة له في أحاديث كثيرة وردت في فضل (مجالس الذكر)، وقد سبق ذكر بعضها؛ ولتواتر فعله عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. لكن يمكن أن يدخل فيه الإنسان بغير مجلس مخصص، كأن يكون مسافرا فيقطع المسافات بتلاوة أوراده، من فرأى أو أذكى. ولذلك قال الله عز وجل ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: 191) وإنما ورد حديث (سبق المفردون) - الذي سبق الاستشهاد به أكثر من مرة - في سفره ﷺ. فقد قاله النبي ﷺ للصحابة الذين كانوا

معه في سفر. ففي رواية مسلم للحديث عن أبي هريرة ؓ قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَىٰ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمُودَانُ. فَقَالَ: «سِيرُوا. هَذَا جُمُودَانُ. سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ!»).

إلا أن الجلوس له أفضل قطعاً؛ لكثرة ما ورد فيه من نصوص، ولما اختص به من فضل اجتماع الملائكة. ومن أشهر ذلك حديث ملائكة الذكر، الذي سبق إيراده أيضاً. قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتاب الأذكار: (اعلم أنه كما يستحب الذكر يستحب الجلوس في خلق أهله، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك (...)) وروينا

في صحيح مسلم عن معاوية ؓ أنه قال خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال: مَا أَجَلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَىٰ وَنُحَمِّدُهُ عَلَىٰ مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ، مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَتَحْلِفْكُمْ تَهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جَبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَبْأِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةُ (42)

هذا، ويحسن عند القراءة للقرآن وللاذكار أن غد صوتك بالحروف مداً حتى تستعين بذلك على ما ذكرنا من مصاحبة الفكر للذكر. وهو

42 من مقدمة المصنف رحمه الله في كتاب الأذكار.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
القايت في سنة القراءة عند رسول الله ﷺ، فقد
أخبر الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ كان يمد صوته بالقرآن
مداً⁽⁴³⁾ قال السندي في حاشيته على
النسائي: (قوله: «يمد صوته مداً» أي يطيل
الحروف الصالحة للإطالة؛ يستعين بها على التدبر
والتفكير، وتذكير من يتذكر)⁽⁴⁴⁾.

ذلك طيف عابر من لطائف الذكر. وأما
مشاهدة المقاصد والمعاني يا صاحبي؛ فتلك غاية لا
يمكن أبداً شرحها بعبارة، وإنما يتلقاها المتعلم

⁴³ - روى أحمد والنسائي وابن ماجه وإسحاق وأبو داود والحاكم عن أنس
وصحبه الأئمة أنظر حديث رقم: 5013 في صحيح الجامع.
⁴⁴ - حاشية السندي على سنن النسائي (باب مد الصوت
بالقراءة)، حديث رقم: 1008.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
بإشارات! إشارات تنبئ عن دخول القلب في
مشاهدة الكلمات، وعن تجربة وجدانية للذاكر،
ومدى تذوقه لمواجيدها. وإنما الذي نرجوه أن
هكذا، ببدايات مثل هذه يمكن إن شاء الله أن
تكون ذاكرة، فاتق الله يعلمك الله؛ ويزدك من
فضله؛ عسى أن تكون من الروائيين، والمفكرين
السابقين.

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

تبصوة:

لك أن تختار من القرآن والسنة الصحيحة
آيات وأذكاراً نبوية، تكون لك ورداً يومياً،
تسلك من خلاله إلى الله تعالى، وتتعهد به قلبك
حتى يدوم على ندوة الإيمان؛ ويستعين بها على
التقرب بمدارج التعرف إلى الله ذي الجلال؛ فيزداد
إشراقاً بنور الرحمن!

وقد جمعت لك - أيها المحب - مختارات من
ذلك، مما صح الإرشاد إليه عن رسول الله ﷺ،
واشتغل به الصحابة رضوان الله عليهم، فكانت
لهم به أحوال وأسرار. وهو مضمون الفصل
الخامس من هذه الرسالة. فاعتمده إن شئت، فإنما
هو آيات وسنن صحيحة. لكن احذر أن يقولك

ميثاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
ذكر الله - (منهج التلقي) - كما شرحناه قبل -
ففتوتك أنوار الحكمة من كل آية قرآنية وعبارة
نبوية؛ وإذن لا يكون للذكر على قلبك اثر! وإنما
الذكرُ ذكرٌ. فتدبر ثم أبصر!

الفصل الثالث: في عهد القرآن والقيام

القرآن العظيم كلام الله ذي الجلال وكفى بذلك حقيقة عظيمة! وكلام الله جل جلاله، هو وحده الذي يؤجر فيه العبد على تلاوته؛ بعدد ما يتلوه من حروفه؛ حرفاً حرفاً! ولا خير فيمن هجر القرآن! وقد سبق حديث رسول الله ﷺ في ذلك: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف) فإذا قام به من الليل كان له ميزان آخر! كما سترى بحول الله.

وأعطيت مكان الإنجيل الماني، وقُضِيَتْ بالفصل⁴⁵، فهل تقرأ القرآن حقاً؟ تحقق قبل أن تحبها إن كان لا، فحاول أن تقرأه! وجرب!

⁴⁵ - رواد الطبراني والبيهقي في سننه، ومصححه الألباني. انظر حديث رقم: 1059 في صحيح الجامع. وإنما يدعى علياً لأنه أنبأنا فوسله ﷺ: (تحقق على داود القرآن فكان يقرأ سورة مخرج فقرأ القرآن من قل أن تسبح دواؤه ولا يأتيك إلا من عمل به). رواد البخاري. فهذا الحديث حال علي أن الرسول لم يكن كتاباً مطبوعاً، وإنما كان على حجم بعض سور القرآن العظيمة من (المتين) كما صرح به النبي ﷺ في الحديث أعلاه. والمثوبة هي السور التي عدد آياتها مائة، أو تزيد قليلاً، كسورة الكهف مثلاً، ولذلك نفهم كيف يكون الزبور مغيباً عن كثير من المسلمين. وهو هنا معناه قرآن، لأن كل كتاب أكثر من سورة والقراءة بمعنى قرآن، إلا أن خصوص التسمية عند الأئمة تقع على ما أنزل على نبينا محمد بن عبد الله ﷺ.

إن هذا القرآن سر لطيف، وكثر رباي عجيب، لو تتلوه يا صاح حق تلاوته؛ لرأيت فيه عجباً ولأبصرت منه بصائر الكون جميعاً فهو جامع الكتب السماوية كلها، وهو خلاصتها الكاملة. فهو (الكتاب)، بما تقتضيه (ال) من معاني الاستغراق. قال عز وجل في فاتحة سورة البقرة: ﴿ألم ذلك الكتاب﴾ أي الأكمل الأشمل، الذي ضم بين دفتيه كل الكتب. وفي ذلك من الأسرار ما يدركه أهل البصائر إذ يقرؤون القرآن. فتجلي لهم سنن، وتوضح لهم معالم، ويشاهدون حقائق. قال رسول الله ﷺ في حديث عجيب حق عجيب. أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المثني،

وتعلم كيف تصنع، عسى أن تكون ممن ﴿يَتْلُوهُ﴾
 حَقَّ تِلَاوَتِهِ. أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: 121). أدخل
 باب القرآن متجرداً من كل الأحوال؛ إلا حال
 الإقبال على رب الكون، الله الملك الوهاب
 وأبصر في الآيات بصائر الحياة، واقراً ثم اركع
 واسجد، تكن بحول الله من المبصرين!

تبصرة: في أوقات القرآن

لا شك أن القرآن هو لكل الأوقات، لكن
 المؤمن لا يعيش حياته ارتجالاً. سواء في ذلك
 عباداته وعاداته. كيف وقد جعل الله علينا
 فرائضه أوقاتاً؟ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
 كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء: 103). ومن هنا كان إرشاد
 الحق عباده الذاكرين إلى أوقات بعينها، باعتبارها
 ذات جمال خاص للعبادة والذكر. وقد كانت
 أوقات الأنبياء والصالحين - كما جاء في كتاب
 الله - تتوزع بين الغداة والعشي ثم الليل. والقرآن
 هو لتلك الأوقات جميعاً. لكن لك أن تختار منها
 حسب ظروفك وأحوالك. وبعضها طبعاً أفضل
 من بعض، كما ستري بحول الله. فإن كنت بدأت

فشارك بورد الأذكار؛ فلك أن تجعل ورد القرآن
 مساءً، أو بليلاً.

إن قرآن المساء وذكره - كقرآن البكور - له
 ذوق خاص عند الذاكرين المقرّدين، كما في كتاب
 الله. قال عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ
 تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَذُنُوبَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
 وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 205).
 فالغدو هو البكور من الصباح؛ أي أول النهار
 وبدايته. والآصال، مفردة: أصيل. وهو كما في
 كتب اللغة والتفسير: (وقت ما بين العصر إلى
 الغروب). فهو سويغات آخر النهار، حيث يبرد
 حر الشمس، وقد أشتتها، وتلين أضواؤها،

وتطول الظلال وتمتد. ولذلك كان من أحسن
 أوقات النهار.

فلا غنى لك أخي السائر عن زاد المساء.
 فهو زاد الأنبياء والصديقين! قال عز وجل: ﴿فَإِذَا
 بَيَّوتَ أَذْنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ
 لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
 وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
 يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ
 لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ
 وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور: 36-38).

وفي هذا الوقت كانت معجزة نبي الله داود
 عليه السلام تتجلى في مجلس ذكره، حيث تجمع

إليه الطيور للذكر، وتردد معه الجبال
التسبيحات! قال سبحانه: ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا عَبْدًا ذَاوُودَ
ذَا الْيَدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ
بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ. وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهٗ أَوَّابٌ﴾
(سورة ص: 17-19)، وقال تعالى في ذلك أيضا:
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا: يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ
وَالطَّيْرَ﴾ (سبا: 10). ومعنى أَوَّي: سحى
والتأويب: الترجيع والترديد، فهي كانت ترجع
معه وتردد التسبيح بوعياها؛ تسخيرا من الله، لا
بالصدى. لأن الأوبة كالترية وزنا ومعنى. فالعشي
أو الأصيل وقت فيه أسرار عجيبة، منها أنه وقت
سجود الكائنات من غير الإنسان لله الواحد
القهار. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ
وَالْأَصَالِ﴾ (الرعد: 15).

ومنها أنه وقت الذاكرين المحلصين الذين
يريدون وجه الله تعالى وحده. قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ
نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
يُريدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا
وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (الكهف: 28).

اجعل لك إذن جلسة قروآنية بالمساء تنل
كتاب الله ذاكرا متدبرا. اقرأ فيها وردك من
القرآن العظيم، على ما ربيت على نفسك من
الأجزاء والأجزاء، حسب دورة ختمتك للقرآن
كل شهر، أو كل أربعين يوما، على حسب

وعشرين! اقرأه في خمس عشرة! اقرأه في عشر!
اقرأه في سبع! لا ينقصه من يقرؤه في أقل من
ثلاث⁽⁴⁸⁾. ثم قال ﷺ: اقرأ القرآن في
أربعين⁽⁴⁹⁾.

48 - رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو، وصححه الألباني.
انظر حديث رقم: 1157 في صحيح الجامع.

49 - رواه الترمذي عن ابن عمر، وصححه الألباني. انظر حديث
رقم: 1154 في صحيح الجامع.

ظروف عملك وأعمالك. وقد كان الصحابة
يخفون بختم القرآن بمنازلهم. فمن ثابت أن أنس
بن مالك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله
وولده فدعا لهم⁽⁴⁶⁾.

وقد ورد في الحديث ضبط مدة الختم أنها
على الأحسن - ما بين شهر وأربعين يوما، وذلك
قول رسول الله ﷺ: اقرأ القرآن في كل شهر!
اقرأه في عشرين ليلة! اقرأه في عشر! اقرأه في
سبع! ولا تزد على ذلك⁽⁴⁷⁾. وقال ﷺ أيضا:
اقرأ القرآن في كل شهر! اقرأه في خمس

46 - أورده المصنف في مجموع الزوائد في (باب الدعاء عند ختم
القرآن) وقال: رواه الطبراني ورحاله ثقاته. مجمع الزوائد:

الحديث رقم: 11713.

47 - متفق عليه.

تبصرة في قرآن القيام:

لكن لا تنس حظ الليل من القرآن الكريم! فاجعل جزءاً من ورد القرآن صلاة بليلاً. وإن شئت سرك فاجعله كله قياماً! ذلك خير. فقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس: «يَعْمُ الرَّجُلُ عِنْدَ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ». قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً⁽⁵⁰⁾. وذلك مسلك الربانيين. فانظر إلى هذا المشهد الجميل من قول الله تعالى في وصف المؤمنين من أهل الكتاب الذين أدركوا الإسلام فأسلموا: «لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ

50- معنى عليه.

يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ⁽⁵¹⁾ (آل عمران: 113).

انظر كيف أناروا لياليتهم الخضراء بتلاوة القرآن صلاة بليلاً! وانحطوا في حركة سر إلى الله عجيبة تخترق الآفاق، وتستدر من الحبة أنوار الأشواق، في خلوة القوآن! وقال الرب الكريم في وصف أصحاب سيدنا محمد ﷺ عامة: «وَمَحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَتَذَكَّرُونَ فَضُلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ الْمُسْجِرِينَ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ. وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْجٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَظْلَمَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفَةٍ يُّغِيبُ الظُّرَّاعَ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ. وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ

سلعة الله الجنة⁽⁵²⁾ والإدلاج: هو السير بليلاً، أو السفر الليلي، من الدَّلَجَةِ: وهي الظلمة. والمقصود طسيعاً قيام الليل. شبهه بالإدلاج؛ لما فيه من معنى السفر الروحي، وتخليق النفس في فضاءات السير إلى الله.

فيا أيها السالك الخب! إن كنت صادقاً فأخني جزءاً من ليلتك بالقرآن! وخاصة ثلثه الأخير، وإن لم تستطع فوسطه، وإن لم تستطع فأوله! وكل ذلك أفضل من وقت الأصيل أو البكور. وفي كل خير.

⁵¹- رواه الترمذي والحاكم. وصححه الألباني. أخرجه

رقم: 6222 في صحيح الجامع

أَقْمُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا⁽⁵³⁾ (الفتح: 29). فعجبا لمن يبصر هذا الجمال ولا يلتحق بالركب! عجباً كيف تبطن يا أخي والسِر قد انطلق!

أما أهل العزائم ممن شدوا الرحال، فقد أدلجوا عبر منازل السرى إلى ديار الحبيب! وأناروا مسالك الليالي بأقمار القرآن، مسافرين إلى الرحمن ركوعاً وسجوداً، يحدوهم الخوف ألا يكونوا من الواصلين، أو ألا يكونوا من المفتردين السابقين! قال المصطفى ﷺ يصفهم في حديث يفيض بالأنس والجمال: من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل! ألا إن سلعة الله غالية! ألا إن

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
ثم الصلاة بالقرآن خير من تلاوته مجردا عن
الصلاة! وكما احتلى الإنسان بصلاة النافلة
كانت أعظم في الأجر؛ حتى تبلغ درجة الفريضة
من حيث قيمتها. وذلك بنص حديث رسول الله
ﷺ، وهو حديث عجيب لمفله تشد الرحال! قال
ﷺ: صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس
تعديل صلاته على أعين الناس خمسا
وعشرين! (52)

ولذلك يحسن جعل ورد القرآن كله بليل؛
لأنه أصمن للخلوة مع الله جل جلاله، فهو أفضل

52- رواه أبو يعلى في مسنده عن صهيب الرومي رضي الله
عنه. وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 3821 في صحيح
الجامع.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
من الأصل قطعاً وآخر الليل أفضل من أوله،
كما هو ثابت في السنة. قال ﷺ: إذا مضى
شطر الليل أو ثلثاه يترى الله إلى السماء الدنيا
فيقول: هل من سائل فيعطى؟ هل من داع
فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى
يسفجر الصبح (53). ولذلك قال ربنا جل وعلا
بنص القرآن العظيم: **إِنَّ تَأْسِثَ اللَّيْلِ هِيَ أَكْثَرُ**
وَطَنًا وَأَقْوَمُ قِيْلًا (المزمل: 6).

ولكن خذ من العمل في ذلك حسب ما
تطيق! واشتغل بالأوراد على حسب ظروف
عملك، ولا تكلف نفسك فوق طاقتها. وتحرر من
الأوقات ما يعينك على دوام العمل فذلك أفضل.

53- رواه مسلم.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
وفي الحديث: يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ
مَا تُطِيقُونَ! فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا. وَإِنْ أَحَبَّ
الْأَعْمَالُ إِلَى اللَّهِ مَا دُرِّمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ (54). وفي
رواية أخرى صحيحة: اكلفوا من العمل ما
تطيقون! فإن الله لا يمل حتى تملوا! وإن أحب
العمل إلى الله تعالى أدومته وإن قل! (55). وأما
الذي يشتغل بالحفظ فورده القرآن إنما هو
الاشتغال بحفظه ضبطاً وإتقاناً، والقيام به من
الليل قياماً. حتى يفرغ من جمع القرآن كاملاً.
وأنشد ينحرف في سلك الختمات الكلية.

54- متفق عليه واللفظ للبخاري.

55- رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وصححه الألباني. انظر

حديث رقم: 1228 في صحيح الجامع.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
وقد جوز العلماء لمن عليه النوم قضاء أوراد
القيام صدر النهار؛ لحديث النبي ﷺ قال: مَنْ نَامَ
عَنْ حَزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ
الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ
اللَّيْلِ (56). لكن لم لا تكون من الذاكرين
السابقين؟ بل لم لا تكون من القانتين؟ بل لم لا
تكون من المقنطين؟ والأمر أيسر مما يصوره لك
إبليس قوياً وتشيطاً؟ ثم كيف لا بعد؟ وهذا قول
رسول الله ﷺ يعرض عليك أجراً يمدد بحر الغيب
مدداً! يقول ﷺ: مَنْ قَامَ بَعَثَ آيَاتُ لَمْ يَكُتَبْ

56- رواه مالك في الموطأ، ومسلم في صحيحه.

ميتاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
من الغافلين! ومن قام بمائة آية كتب من القانتين!
ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين! (57)

فلتقم على الأقل بعشر آيات - من غير الوتر -
ولا تكن من الغافلين! فسورة (الكافرون) مثلاً
ست آيات، وسورة الإخلاص: ﴿قل هو الله أحد﴾
أربع آيات، فلتك عشر! لكن أحسن تدبرها
وأحسن ركوعها وسجودها! فقد قال ﷺ:
أعجز أحدكم أن يقرأ في كل ليلة ثلث القرآن؟
إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل "قل هو الله
أحد" جزءاً من أجزاء القرآن (58). وإن أنعم الله

57- رواه أبو داود وابن حبان عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً.
وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 6439 في صحيح الجامع.
58- رواه مسلم.

ميتاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
عليك يا سالك بمحبته، ومن عليك بإقبال عزمة
التعبد، وانتهاضها للسير الدائم إليه، المشتاق إلى
نور جماله وظل جلاله؛ فقم بسورة في القرآن
ذات أسرار خاصة، هي فقط ثلاثون آية! تفعلك
في قبرك، فتكون لك فيه حصناً من عذابه
- عافانا الله وإياك من عذابه - إنما سورة الملك!
أي (تبارك). فهي السورة المنجية من عذاب القبر
كما في الأحاديث الصحاح، ولهذا فتسمى أيضاً
بـ (المانعة). قال رسول الله ﷺ: سورة تبارك
هي المانعة من عذاب القبر (59). وقال أيضاً:
إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل

59- رواه ابن ماجة مرفوعاً عن ابن مسعود. وصححه الألباني.
انظر حديث رقم: 3643 في صحيح الجامع.

ميتاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
حتى غفر له! وهي: "تبارك الذي بيده الملك" (60).
ومثله قوله ﷺ: سورة من القرآن ما هي إلا
ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته
الجنة! وهي تبارك (61).

ولك أن تقوم ليلة الجمعة بسورة الكهف
خاصة (62)؛ لما صح في ذلك من فضل هذه السورة

60- رواه أحمد والأربعة وابن حبان وأحاكم عن أبي هريرة.
وقال الألباني: حديث حسن. انظر حديث رقم: 2091 في
صحيح الجامع.

61- رواه الطبراني في الأوسط والضياع عن أنس. وحسنه
الألباني. حديث رقم: 3644 في صحيح الجامع.

62- بشرط ألا تفرد ليلة الجمعة بالقيام من دون سائر الأيام؛
نسبني النبي ﷺ عن ذلك، قال: (لا تختصروا ليلة الجمعة بقيام من
بين الليالي، ولا تختصروا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام؛ إلا أن
يكون في صوم يصومه أحدكم) رواه مسلم. فإن كان في قيام

ميتاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
لمن قرأها من يوم الجمعة بالليل أو بالعداء. فقد
قال ﷺ: من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة؛
أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق (63).
ومثله قوله ﷺ: من قرأ سورة الكهف في يوم
الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين (64).
قال ابن حجر في أماليه مبيناً ذلك: (المواد: اليوم

يقوم يومياً، أو يوماً بعد يوم؛ فهو حسن للأحاديث المذكورة
أعلاه، ولما هو مضمون من حديث أبيه هذا.

63- رواه البيهقي في السنن، وفي شعب الإيمان، ورواه الحاكم
بلفظ قريب منه. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 6471.

64- رواه الحاكم والبيهقي في السنن، وصححه الألباني في
صحيح الجامع رقم: 6470.

بليته، والليلة بيومها). ولا يخفى عليك فضل صلاة التوافل بالليل على النهار!

ذلك من حق القرآن العظيم عليك، فلا تهمله ولا تهجره! بل اشتغل به ذكرا بالنهار، وقياما من الليل، ثم تدبرا وتفكرا في كل حين! اجعله زاد طريقك، وصاحب سفارك، و خليل خلوتك، ورفيق جلوتك. وعش به وله. واحذر أن تصيبك شكوى رسول الله ﷺ مما حكاها الله في القرآن، إذ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: 30).

الفصل الرابع: في عهد البلاغ

وهذا عهد فصلناه في كتبنا (بلاغ الرسالة القرآنية). وإنما نورد ههنا خلاصته العملية، بإيجاز شديد؛ لكمال التطبيق وشمول التحقق لميثاق العهد.

ومسالكه هي المفاتيح الثلاثة لأوراد العسل: بالدخول فيها يتحقق للمسلم السنوك في مدرسة القرآن. ويرتقي أول مدارج المصلحين بحول الله. فيخرج بذلك من القول إلى العمل، إذ لا فائدة لحكم ليس يتحقق له مناط مطلقا في حياة الإنسان. وإنما جاء الدين ليكون حركة إنسانية

في الزمان والمكان، لا نصوصا تتلى فقط، ولا قصصا تحكى فحسب. وإنما الأمانة التي حملها الإنسان عمل. ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 105).

والإسلام لما بين بلاغاته للناس، بين لهم فيما بين - وسائل الوصول إليها، وطرائق اكتساب صفاتها. فجعل لكل أصل عملا، ولكل عمل بابا، ولكل باب مفتاحا.

تبصرة في المفاتيح الثلاثة:

ومدار باب الخروج إلى العمل على ثلاثة مفاتيح، أو ثلاث خطوات، هي أصول لما سواها، نسكها في العبارات التالية:

- 1- اغتنام المجالس
- 2- والتزام الرباطات
- 3- وتبليغ الرسالات

وبيان ذلك هو كما يلي:

الخطوة الأولى: في اغتنام المجالس. وهو أن تحرص على (مجالس القرآن)، قصد التعرف إلى الله والتعريف به، والتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ والتعلم بحلمه، و (مجالس القرآن) هي خير أنواع (مجالس الذكر)، التي تضافرت الأدلة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على أنها

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
محبوبة عند الله، مذكورة في ملته الأعلى، تشهدها
الملائكة؛ وتزل عليها السكينة، وتغشاها الرحمة،
ويذكرها الله فيمن عنده. وليس شيء أفيد منها
في تربية الإنسان المسلم على الصلاح والفلاح.
وهي من أهم الوسائل التربوية التي لا غش فيها
ولا غبار، من حيث استنادها إلى الأدلة المتواترة
بالمعنى، عبر الأحاديث الوفيرة المستفيضة. نذكر
منها الحديث المشهور، الذي رواه أبو هريرة
مرفوعاً إلى النبي ﷺ، والذي فيه: «ما اجتمع قوم
في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه
بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
وأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تحجيذاً،
وأكثر لك تسبيحاً، فيقول: فما يسألوني؟
فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟
فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: فكيف
لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد
عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة.
قال: فممن يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول
الله: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما
رأوها. فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو
رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة.
فيقول: فأشهدكم أي قد غفرت لهم! فيقول ملك
من الملائكة: فيهم فلان، ليس منهم. إنما جاء

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن
عنده. ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه⁽⁶⁵⁾.
وكذلك الحديث المتفق عليه، الذي رواه أبو
هريرة أيضاً، مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: إن الله
ملائكة سيّاحين في الأرض، فضلاً عن كتاب
الناس، يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر.
فإذا وجدوا فوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى
حاجاتكم! فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا،
فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟
فيقولون: يسيحونك ويكبرونك ويحمدونك
ومجدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله
ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
لحاجة فيقول: هم الجلساء لا ينقصون⁽⁶⁶⁾.
جلسهم! والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.
ومجالس القرآن هي للتدرب على الوظائف
التالية:

أ- الاشتغال بالله تعريفاً وتعريفاً

ب - الاشتغال بالقرآن تبصراً وتبصراً

ج- الاشتغال بالشوائب الحميدة تخلقاً
وتخليقاً.

الخطوة الثانية: التزام الرباطات.
وذلك بعمران المساجد والتزام الجماعات، قصد
شهود الأوقات واكتشاف الصلوات.

فالمقصود بـ (الرباطات) إذن: بيوت الله، حيثما كانت. ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور: 36-38). ذلك ما سماه رسول الله ﷺ بـ (الرباط)، في الحديث الصحيح الذي قال فيه ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

يعلمك ويصلح لك، كما كان يصلح صلاة المسيء صلاته، بما ورد في الحديث الصحيح: عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلّى. ثم جاء فسلم على رسول الله ﷺ، فرد رسول الله ﷺ. قال: ارجع فصل فإنك لم تصل! فرجع الرجل فصلّى كما كان صلى. ثم جاء إلى النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «وعليك السلام» ثم قال: ارجع فصل فإنك لم تصل! حتى فعل ذلك ثلاث مرات. فقال الرجل: والذي يعنك بالحق، ما أحسن غير هذا! علمني! قال ﷺ: إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً. ثم ارفع حتى تعتدل قائماً. ثم اسجد

فذلكم الرباط! فذلكم الرباط! فذلكم الرباط! (67) فتدبر... ثم أبصرا

ثم اجهد أيها السائر اغيب، والفني المرباط: لتكون صلاتك صلاة حقاً. واحذر عليها من شيتين: نقر الغراب، وشرود البال. فإنما المرباط من رباط بقلبه ووجدانه، لا بيدنه فقط وإنما غاية الرباط صلاح الصلاة، وإقامتها حتى إقامتها فإذا فسدت كان ذلك مضية للأعمار وسبباً إلى النار! نعوذ بالله منها! فاجعل رباطك قضاء لعمران الصلاة. أبنها بناءً في قلبك وزجدها، كما تبني حياتك لحظة لحظة، وحركة حركة! واجعل نصب عينيك معلمك رسول الله ﷺ

67 - رواه مالك في مواعيد ومسلم في صحيحه.

حتى تطمئن ساجداً. ثم ارفع حتى تطمئن جالساً. ثم افعل ذلك في صلاتك كلها (68).

وقد ورد لهذا الحديث بيان عجيب في حديث آخر، فيه دلالة لطيفة على طلب الاطمئنان البدني والنفسي والاسترخاء العصبي: بما يكفل هدوء المصلي، وسكينته، ومرباطه الوجدانية. وذلك قوله ﷺ: إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء، كما أمره الله، فيغسل وجهه، ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه، ورجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله، ويحمده ويمجده، ويقرأ ما تيسر من القرآن مما علمه الله، وأذن له

68 - متفق عليه.

فيه، ثم يكبر فيركع، فيضع يديه على ركبتيه، ويركع حتى تطمئن مفاصله وتسترخي..! ثم يقول: سمع الله لمن حمده، فيستوي قائما حتى يأخذ كل عظم مأخذه، ويقوم صليبه، ثم يكبر فيسجد، فيمكن جهته من الأرض، حتى تطمئن مفاصله وتسترخي! ثم يكبر فيرفع رأسه، فيستوي قاعدا على مقعدته، فيقيم صليبه، ثم يكبر فيسجد حتى يمكن وجهه ويسترخي! لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك! (69)

فاحذر بعد هذا أن يقال لك يوم القيامة: صل! فإنك لم تصل! وأنى لك أن تصلي في يوم

(69) رواه أبو داود والشمساني وابن ماجه والحاكم، ومسلمه

الألباني في صحيح الجامع الصغير: 2420

انقطعت فيه الأعمال؟ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: 88-89).

والرباط - بعد هذا وذاك - هو تمام القطيعة بينك وبين عالم المنكرات، وظلام النكبات والموبقات. إن التزمته حقا كان لك حصا حصيد من الانحراف والضياغ. وسدا مليعا دون الردى والسقوط. وذلك قول الله عز وجل الصريح الملمح: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: 45). فتدبر ثم أبصر!

الخطوة الثالثة: تبليغ الرسالات، بالقيام بالبلاغات: والدعوة إلى الخيرات.

وتبصرة هذا المفتاح هي: جواب (كيف البلاغ؟)

أما تأصيله فقد سبق تقريره بقواعده: في تبصرة البلاغ الخامس، من كتبنا (بلاغ الرسالة القرآنية).

تبصرة: كيف البلاغ؟

ليس البلاغ اليوم في المسلمين بلاغ (خبر) هذا الدين. فذلك أمر قام به الأولون. وما بقي اليوم صقع في الأرض لم تبلغه قصة الرسالة الإسلامية، على الجملة. ثم إنما المقصود بمسروعنا هذا هو دار الإسلام. هذا العالم الإسلامي الذي لان فيه الدين، وضعف فيه التمسك بالكتاب، مع أنه يتلوه - أو يتلى عليه - كل حين.

إنما المسلمون اليوم في حاجة إلى (إبصار). إبصار الحقائق القرآنية التي تتلى عليهم صباح مساء، وهم عنها عمون، على نحو ما وصف الله سبحانه في قوله: ﴿فَوَرَّاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (الأعراف: 198)، وقوله سبحانه:

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 ﴿وَكُنَّا مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَعْرُوزُ
 عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (يوسف: 105).
 فالبلاغ الذي نحن في حاجة إليه إنما هو بلاغ
 (التبصير)، لا بلاغ التخبير.

وأما مادته، فما ذكرناه من أصول الرسالة
 القرآنية، وبلاغات القرآن: من اكتشاف القرآن
 العظيم، والتعرف إلى الله والتعريف به، واكتشاف
 الحياة الآخرة، واكتشاف الصلوات وحفظ
 الأوقات، وحقيقة الدعوة إلى الخير، وحكمة اتباع
 السنة؛ تزكية وتعلما وتحلما، ومفاتيح ذلك كله
 في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فتلك الخطوات الثلاث هي مفاتيح العمل،
 لمن عقد العزيمة على السير إلى الله مُتَعَرِّفًا وَمُعَرِّفًا.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 وتلك هي الأصول الدينية، التي تشكل المسالك
 الرئيسية: لسير العبد إلى الله في طريق التبصير
 والتبصير.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

الفصل الخامس: في المختار من الأذكار

وهو أقسام:

أذكار من القرآن العظيم:

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
 الرجيم. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
 إِلَهِكَ تَعَبَّدْ وَإِيَّاكَ تَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
 وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (70). آمين.

70- فضل سورة الفاتحة - عند من يصورها - لا ينال في
 القرآن، ولا فيما سيقه من كتبها ويكفيها عظمة وفخرا آخر

الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الْمَ ذَلِكِ
الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ

لِلسَّمَاءِ (أم القران) وهي التي أمر الله بها على خليله المصطفى
محمد ﷺ في قوله تعالى: (وَتَقَدْ آتَيْنَاكَ مِثْقَالَ حَبِّ خَلْتَيْنِ وَالْقُرْآنَ
الْعَظِيمَ) (الحجر: 87). ولذلك قال النبي ﷺ (أم القرآن هي:
السجدة المفاتيح والقرآن العظيم) رواه البخاري. وأوضح منه قوله
ﷺ: (والسجدة هي: ما أنزل في التوراة، ولا في الإنجيل،
ولا في الزبور، ولا في انشقاقان مثبهاً وإنما لسبع من المثاني
والقرآن العظيم الذي أعطيناه) رواه أحمد والترمذي عن أبي
هريرة، وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 7079 في صحيح
المجمع

وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: 1-5) (71).

71- وعن الشعبي قال: قال عبد الله - يعني ابن مسعود -
(من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في بيته لم يدخل النار)
البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربع آيات من أولها قوله
الكرسي، وآيتين بعدها، وخواتيمها) رواه الذهبي، وحسنه
المصنعي (ورجاله رجال الصحيح)، إلا أن الشعبي لم يصح من
ابن مسعود، مجمع الروايات الحديث رقم: 17013. واستدل في
ذلك أحاديث أصح، وفضلنا عن أنه قرآن متفضل ثلاثه: فقد
صح خصوص الذكر بذلك في أحاديث متواترة منها ما رواه
مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما جرت صلاة
عند النبي ﷺ جمع ثوباً من ثوبه فرقع رأسه فقال عبداً يا
عن السماء فتح اليوم، ولم يفتح قط إلا اليوم، فتح منه عرش
قبري. هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم) مسلم
وقال: أمير المؤمنين أوتيتهما ثم يوهما في قبلك فاتحة الكتاب:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ. قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ
الْغَى. فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْقِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ. اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ
الطَّاغُوتُ. يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ.
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:
255-257).

﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ. وَإِن
تُبَدِّلُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسَبِكُمْ بِهِ اللَّهُ

من دعوى الجمة إلا أن الموت، رواه النسائي وابن حبان عن أبي
أمامة، بتحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: 4464 في
صحيح المجمع.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. لَا تَأْخُذُهُ
سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ. لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ. مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ. يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ. وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ. وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ. وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ
الْعَظِيمُ﴾ (72).

وخواتيم سورة البقرة، إن قرأ بحرف منهما إلا أعطيته) يعني
ما ورد فيهما من الدعاء. رواه مسلم.

72- لقد أقر النبي ﷺ ما سمعه أنه حربة من جدته ليل إذا قال
الله: (إذا أوتيت إلى قرأتك، فقرأ آية الكرسي من أولها حتى
تختم: "الله لا إله إلا هو الحي القيوم") وقال لي: إن يزال عليك
من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح) رواه البخاري.
وقال ﷺ: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يجد

فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. آمَنَ الرُّسُلُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ. كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفُرَّقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ. وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا. لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ. رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ لَيْسَ آوْءُ أَخْطَاْنَا. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا. رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ. وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٤-٢٨٦﴾ (البقرة: 284-286) (73).

23- هل تدري ما خزانيم البقرة؟ إنها آيات تلقاها رسول الله ﷺ وحسبنا في السماء ليلة الإسراء والمعراج ففي صحيح مسلم عن

عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: (لَمَّا أَمْرِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَّبِعِي بِهِ إِلَى سَفَرَةٍ الْمُتَتَّبِعِ. وَهِيَ فِي الْمَسَاءِ الْعَادِمَةِ. إِنَّمَا يَتَّبِعِي مَا أَمْرُغُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ. فَيَقْبِضُ مِنْهَا. وَإِنَّمَا يَتَّبِعِي مَا أُعْطِيَ مِنْهَا). (الصحاح: 16). قَالَ: فَرَأَيْتَ مِنْ دَعْبِ. قَالَ: فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ الْخُمْسَ. وَأَعْطَى حَوَاسِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغَابِ أَسْرَارِهَا. يُشْرِكُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْنِهِ شَيْئًا مُتَحَفِّصَاتٍ). (رواه مسلم). وَهِيَ تَنْصَرُ شَيْئًا مِنْ أَسْرَارِهَا تَدْرِي إِذْ هَذِهِ الْخَدِثِينَ:

الأول: قول رسول الله ﷺ (أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْأَيَّامُ مِنْ أَحَدِ
سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَثَرِ تَحْتَ الْعَرْشِ، لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي) رواه
أحمد والطيبري والبيهقي عن حذيفة، ورواه أحمد عن عبد الله بن
وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 1060 في صحيح الجامع.
والثاني: قوله ﷺ (إِنَّ اللَّهَ نَعَالِي كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَأْتِي عَامًا وَهُوَ عِنْدَ الْعَرْشِ، وَإِلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ
الْبَيْتِ عَنْهُمْ هَذِهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي دَارِ الْأَنْبِيَاءِ
قَبْرُهَا الشَّيْطَانُ) رواه الترمذي والنسائي وأحمد عن العلاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. (أَلَمْ يَأْتِ الْفُتُورَ) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ. وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ. وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ. إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. (آل عمران: 1-6) (74)

بن بشر، وصححه الألباني انظر حديث وقوف 1799 في صحيح الجامع.

74- قال رسول الله ﷺ: (اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أحاب في ثلاث سار من القران: في البقرة، وآل عمران، وطه)

وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا
يَعْلَمُهَا. وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ
وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم
بِالْلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَوَّحْتُمْ بِالنَّهَارِ. ثُمَّ يَبْعَثْكُمْ فِيهِ

رواه ابن ماجة والطبرانی والحاكم وصححه الألبانی .
 حديث رقم: 979 في صحيح الجامع

وقال أيضاً: (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين) وبذلك الله
واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم (البقرة: 163) وبذلك الله
عمران: "ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم". - رواد أجود و
داود والترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني. انظر حديث رقم
980 في صحيح الجامع.

صِبْاقُ الْعَهْدِ ————— فِي مَسَالِكِ التَّعْرِفِ إِلَى اللَّهِ
لِيَقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى. ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿الأنعام: 60-61﴾ (75)

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا
أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. (الأنعام: 164-165)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. فِيمَا

75- هذه الآية أصل عظيم في التعريف بالله تعالى وتوحيده. فقد
قال البخاري في صحيحه: (باب "وعنده مفاتيح الغيب لا
يعلمها إلا هو") () عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول
الله ﷺ قال: مفاتيح الغيب خمس: (إن الله عنده علم الساعة
ويزول العيث: يعلم ما في الأرحام وما تعري نفس ساء تكسب
عنده وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) (رواه
البخاري).

صِبْاقُ الْعَهْدِ ————— فِي مَسَالِكِ التَّعْرِفِ إِلَى اللَّهِ
لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ. وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. مَا كُنْ
فِيهِ أَثَرٌ. وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. مَا
لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِبَنَاتِهِمْ. كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ
مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا. فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ
نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ
أَسَفًا. إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ
أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا. وَإِنَّا لَنَجَاعِلُنَّ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا
جُرُزًا. أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ
كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا. إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ
فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا
رَشَدًا. فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ
عَدَدًا. ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا

صِبْاقُ الْعَهْدِ ————— فِي مَسَالِكِ التَّعْرِفِ إِلَى اللَّهِ
قَلْبُهُ عَنْ دُكْرَانَا وَاتَّعَ هَوَاةٌ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا. وَقُلْ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ
فَلْيُكْفُرْ. إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ
سُرَادِقُهَا. وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يَفْتَرُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ
يَشْوِي الْوُجُوهَ. بَيْنَ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.
(الكهف: 28-29)

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا. وَعَرَّضْنَا جِهَتَهُمْ
يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي
غَطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا.
أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ
دُونِي أَوْلِيَاءَ. إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ نَارًا. قُلْ
هَلْ لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةٌ خَيْرٌ مِنْهُمُ أَمْ تَعْبُدُونَ
إِلَهُاتًا غَيْرَ اللَّهِ كَذِبًا. وَإِذَا عَزَمْتَ لَهُمُ الْوَعْدَ

صِبْاقُ الْعَهْدِ ————— فِي مَسَالِكِ التَّعْرِفِ إِلَى اللَّهِ
لِيُؤْمِنُوا أَمَدًا. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ. إِنَّهُمْ
فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى. وَرَبَطْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا
ضَطَطًا. هَؤُلَاءِ قَرْمَنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً. لَوْ كُنَّا
يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ. فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. وَإِذَا عَزَمْتَ لَهُمُ الْوَعْدَ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا
اللَّهُ. فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ
رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾. (الكهف: 1-16)

﴿وَاصْبِرْ نَفْسُكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ. وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ
عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ. فَحَبْطَتِ أَعْمَالُهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا. قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْيَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَقْدَ كَلِمَاتِ رَبِّي. وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا. قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ. فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَادًا⁷⁶ (الكهف: 99-110) النهاية.

76- سورة الكهف عظمة الفضل حقا وقد ورد في مصنفات وفي فضل أوائلها، وأواخرها، أحداث كثيرة منها قوله ﷺ: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتن الدجال) رواه مسلم. وفي رواية عنه: (من أجز الكهف) ومن ذلك أيضا أن رسول الله ﷺ لما ذكر الدجال وعنه من نفسه قال ﷺ: (فمن أدركه منكم فليقرأ هذه فاتحة سورة الكهف) رواه مسلم. ومثله قوله ﷺ: (يا أيها الناس إذا لم تكن فتنه على وجه الأرض - منذ ذرأ الله ذرية آدم - أعظم من فتنه الدجال وإن الله عز وجل لم يبعث نبي إلا حذر أمته الدجال) وأما غير الأنبياء وأهمهم أمير الأمم، وهو خير خلقهم لا محالة (-) ورد من فتنته أن معه حجة وتارة تارة حجة وجهته تارة فمن ابتلي بتأوه فليستغث بالله لا تسمع (الكهف) رواه ابن ماجه وابن خزيمة، والحاكم، والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 7875

وهي سورة تتلوا للملائكة على قارئها رحمة وسكينة فمن أقرأها قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده قرص من مرقوق يخطي [أي على] خلفه سحابة فحملت ثلوز وتلوز وجعل قرصه يقرأ منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له فقال: «فلك السكينة تنزل للقرآن» فتقوى عليه، وقد وردت هذه القصة مفصلة عند مسلم فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسد بن حضير رضي الله عنه بينما هو ليلة يقرأ في مرقوقه إذ جالت قرصه، فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ، ثم جالت أيضا، قال أسد: فخشيت أن تطأ بخشي [يعني ابنه الصغير] ففشت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أشبال السراج! (ج. سراج، وهي الصبايح) عرجت في الحوض حتى ما أراها، قال فقلوبت على رسول الله ﷺ، فقلبت ما رسول الله ﷺ بينما أنا القارحة من خوف الليل أقرأ في مرقوقي، إذ جالت قرصي! فقال رسول الله ﷺ: «أقرأ ابن حضير» قال: فقرأت، ثم جالت أيضا، فقال رسول الله ﷺ: «أقرأ ابن حضير» قال: فقرأت، ثم جالت أيضا، فقال رسول

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي السَّمَاءَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾

الله ﷻ: «أقرأ ابن حضير» قال: فالصرفت، وكان يخبر قريبا مشها: خشيت أن تطأ، فزابت مثل الظلة، فيها أشبال السراج، عرجت في الحوض حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: «فلك السكينة كانت تستمع لك» وتو فزابت لأصحت، وهذا الذي ما تشر منهم» رواه مسلم.

وقد صرح فضل فرائها من يوم الجمعة، في غلظها أو ليلها، قال ﷺ: (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له نور ما بين يديه وبين البيت والحق) رواه البيهقي في السنن، وفي شعب الإيعاد، ورواه الحاكم باللفظ قريب منه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 6471. ومثله قوله ﷺ أيضا: (من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين) رواه الحاكم والبيهقي في السنن، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: 6470.

وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ. وَمَنْ يُهِنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ. إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. (سجدة: (الحج: 18))
 ﴿وَاللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِ شَكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ. الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ. الرُّجَاةُ كَأَنَّهُهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ. يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ. نُورٌ عَلَى نُورٍ. يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ. وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ. وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيَ اللَّهُ الَّذِينَ هُمْ

أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ. وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ. (النور: 35-37)
 ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. مَا خَلَقَكُمْ بِغَفْلَةٍ إِنْ كُنْتُمْ وَاحِدَةً. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ. وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى. وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ. وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. (لقمان: 27-30)
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ. وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسُهُمْ. أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ. أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ. لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ. وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ. هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ. هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ. لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.

يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. (الحشر: 18-24)⁷⁷
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ. (78)﴾

⁷⁷ - يقول الله جل جلاله: (وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الْمَشْهُورَةُ عَمَّا وَذَرُوا الْبَلِيْسَ لِيُجِدُوا فِي أَسْمَائِهِ يَتَّخِذُونَ مَا كَانَ يُقَالُ لَهُمْ) (الأعراف: 180)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً عَشْرًا أَحَدُهَا لَا يَحْضُرُ أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَهُوَ وَرَجَبُ الْوَرْدِ. وَفِي رُوَيْتٍ أُخْرَى مِنَ الصَّحِيحِ: (مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) متفق عليه.

⁷⁸ - قال ﷺ: (إِذَا أَحْبَبْتَ مَضْجَعَكَ مِنَ اللَّيْلِ فَاقْرَأْ: أَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ" ثم يم على عاتقها قبلها براءة من الشرك). ورواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم، ورواه البيهقي عن أبيه عن

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْبَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ. (ثلاث مرات).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ.
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا
حَسَدَ﴾ (ثلاث مرات).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَهِ النَّاسِ. مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ

معاوية ، كما رواه الساجي والبعوي وابن قانع والضياء عن
حبيبة بن حارثة ، وحسنه الألباني . انظر حديث رقم: 292 في
سجل الجامع .

-66-

ميثاق العهد = في مالك التعريف إلى الله

استغفار

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ: وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ (80)

80- وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس رضي الله عنه،
عن النبي ﷺ قال: "سَيِّدُ الْأَسْتَعَارِ أَنْ يَقُولَ التَّعَذُّرُ اللَّهُمَّ أَتَيْتُ
رَأْسِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْخ (كما هو مذكور أعلاه) فقال ﷺ
بعدها: مَنْ قَاتَلَا بِالْأَثَرِ مَوْفِقًا بِهَا فَحَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُحْسِنَ
فَقُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَاتَلَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مَوْفِقٌ بِهَا فَحَاتَ
قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ" رواه البخاري.

=16%

صنّاق العهود = في مسائل التعريف إلى الله

الْحَتَّاسُ الَّذِي يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ
الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ. (ثَلَاثُ مَرَّاتٍ) (79).

(٢٧) - قال النووي في كتاب الأذكار: (وروي في سنن أبي داود
والترمذي والبيهقي وغيرهما بالأسانيد الصحيحة عن عبد الله بن
بن حبيب - يضم الحاء المعجمة - رضي الله عنه قال: خرجنا
في ليلة مطر وقيلمة شديدة، نطلب التي^١ التي^٢ البقي على
فأدركناه، فقال^٣: قل! فلم أقل شيئاً، ثم قال: قل! ألم أقبل
شيئاً، ثم قال: قل! فقلت: يا رسول الله ما أتوردك قال: "فِي
عُشْرِ اللَّيْلِ أَحَدًا، وَالْمُعَوَّدَيْنِ، حِينَ تُسَمَّى وَحِينَ تَخْبُرُ، وَبَلَدٍ
مَسْرَاتٍ، تَكْفِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ") قال الترمذي: حدث حسن صحيح.

167

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله

وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. (ثلاثاً) ⁽⁸¹⁾

31- عكرش له منسج من الوقت أن يبيع بها مائة أو شيء مما
 في خزائنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (رواه
 ابن الأستغر بالله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) ورواه
 السبخاري. وقال ﷺ: (استغفروا ربكم إني استغفر الله وأتوب
 إليه كل يوم مائة مرة). رواه البيهقي، وصححه الألباني. انظر
 حديث رقم: 944 في صحيح الجامع. وقال ﷺ: (إن تَعَفَّى

عسى قلبي، ولاني أمتنع الله في اليوم مائة مرة (رواه حنبل)
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله (ص)
عسى أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحى القيوم وأقول الله
عقرب ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف (رواه أبو داود)
وأحمد بن حنبل والحاكم وقال حديث صحيح على شرط الشيخين
ومسلم ووافقه الذهبي وصححه الألباني أيضا في صحيح
الترمذي. 172/3

469

الصلاة الإبراهيمية

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد (عشر مرات) ⁸⁵.

⁸⁵ - هذه صيغة الصلاة الإبراهيمية، مختارة ومختصرة من عدة صيغ في الصحيحين وفي غيرها. منها ما أخرجه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: سمعت كعب بن جعفة يقول: ألا أتعبدون الله عذبة تمنعنا من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى، فأخبرنا به. فقال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال الله قد علمنا كيف نسلم عليكم، قال: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد - إلخ) متفق عليه.

ولك أن تختصرها - إن شئت - هكذا:

وفضل الصلاة على سيدنا محمد عظيم جداً، وفيها خير كبير، وقد وردت في ذلك أحاديث صحيحة كثيرة، منها قوله ﷺ: (من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشر من الأجر) (من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات، وخط عنه عشر خطبات ورفع له عشر درج) رواه أحمد، وأحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والنسائي، والترمذي، وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 6359 في صحيح الجامع وغيره ﷺ: (كل دعاء محسوب حتى يُعْطَى على النبي صلى الله عليه وسلم وأل محمد)، رواه الترمذي في مستدرج السالكين، وأبو داود، كما رواه البيهقي عن علي موقوفاً، وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 4523 في صحيح الجامع، وقال الترمذي في مجمع الزوائد: عس الرواية الموقوفة على عليٍّ رضي الله عنه، رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات.

دعاء الصباح والمساء

أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم أني أسألك خير هذا اليوم، فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه. وأعوذ بك من شر ما فيه، وشر ما قبله، وشر ما بعده ⁸⁶. اللهم بك أصبحنا،

⁸⁶ - هذا الدعاء مركب من حديثين: الأول رواه مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: (كان نبي الله ﷺ إذا أوى إلى أمسية وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلخ) إلى آخره، والثاني رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وصححه الألباني. انظر حديث رقم: 4523 في صحيح الجامع، وقال الترمذي في مجمع الزوائد: عس الرواية الموقوفة على عليٍّ رضي الله عنه، رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات.

اللهم صل وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في العالمين، إنك حميد مجيد. (عشرًا)

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك
المصير⁽⁸⁷⁾. أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة

والثاني: رواه أبو داود قال: قال ﷺ: (إذا أصبح أحدكم
فليل: أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين. اللهم إني أسألك
حسب هذا اليوم... إلخ). إلى أن قال: ونم إذا أمسى فليقل مث
ذلك، وحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 352 في صحيح
الجامع.

⁸⁷ - وقال ﷺ: (إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا
وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير. وإذا أمسى
فليقل: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت
وإليك المصير). رواه الترمذي عن أبي هريرة. وحسنه الألباني
في صحيح الجامع الصغير: انظر حديث رقم: 353.

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ، وملة أينا إبراهيم
حنيفا مسلما، وما كان من المشركين⁽⁸⁸⁾.

ثم تدعو بعد ذلك بدعائك الخاص، بما شئت
من خيري الدنيا والآخرة، لنفسك وأهلك ولأمة
المسلمين.

ثم تختم بقولك: (سبحانك اللهم وبحمدك.
أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب
إليك)⁽⁸⁹⁾.

⁸⁸ - كان [النبي ﷺ] إذا أصبح وإذا أمسى قال: أصبحنا على
فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص... إلخ. رواه أحمد (الجامع في
ومحسنه الألباني. انظر حديث رقم: 4674 في صحيح الجامع).

⁸⁹ - قال ﷺ: (كفارة المجلس أن يقول العبد: سبحانك الله
وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحده لا شريك لك).

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
ولیکن ذلك آخر كلامك بذلك المجلس.
فتقوم إلى صالح أعمالك الأخرى، من أمور دينك
ودنياك، بنية التوبة والطاعة.

أستغفرك وأتوب إليك. رواه الضعيف عن ابن عمر، وعن ابن
مسعود. وصححه الألباني انظر حديث رقم: 4487 في صحيح
الجامع. وفي رواية النسائي والحاكم أنه ﷺ قال: (فإن قالها في
جلس ذكر كانت كالطابع يطبع عليه! ومن قالها في مجلس لغو
كانت كفارة له!) رواه النسائي والحاكم عن جابر بن مطعم،
وصححه الشيخ الألباني. انظر حديث رقم: 6430 في صحيح
الجامع.

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

تبصرة

ولاتنس ثلاثة أدعية أساسية في اليوم والليلة،
فإن المسلم يحفظ بها ويسدّد: الأول دعاء
الخروج من المنزل، والثاني دعاء النوم، والثالث
دعاء الاستيقاظ من النوم.

فأما دعاء الخروج: فهو قول النبي ﷺ: باسم
الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا
بالله. اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل، أو نصل، أو
نظلم أو نظلم، أو نجهل أو يُجهل علينا⁽⁹⁰⁾.

⁹⁰ - هذا الدعاء مركب من حديثين صحيحين: أولهما قول النبي
ﷺ: (من قال - يعني إذا خرج من بيته - "باسم الله" أو "كلت
على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله" يقال له: كُتبت وتُؤمّن).

وأما دعاء النوم فهو أن يقول - بعد قراءة آية الكرسي -: باسمك ربي وضعت جنبي وبك

وهديت، وتلقى عنه الشيطان قال الترمذي: حديث حسن. زاد أبو داود في روايته "فيقول - يعني الشيطان للشيطان آخر - كتبت لك يسوخل قد هني وكنتي ورتقي؟" رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: 499.

والحديث الذي رواه الترمذي عن أم سلمة، أنه ﷺ (كان إذا خرج من بيته قال: "بسم الله، توكلت على الله، اللهم إنا أعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نضل أو نضل، أو نضل أو نضل علينا") رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: 4708.

تبصرة: في بَرَأق الأوراد

وهو الورد الصامت! يطير بك سرًا في سباحات الروح! يطير بك عاليًا، عاليًا جدًا! ثم.. سوريات فإذا أنت على أعتاب الولاية! مع أهل الله وخاصته، سبحانه جل علاه! وأي ورْدٍ أصدق على هذا المعنى من الصوم؟ ذلك هو بَرَأق الأوراد. ووافدها المتدفق على الوجدان بصمت!

تعددت السوافل وتشابكت في الخيرات، وتفرَّد الصوم بسرَّ الانساب الخالص إلى الله! وإذا بالعيد الصائم يدخل في مقام من مقامات العبودية، غير مقدرة بمكيال، ولا محصورة بحساب! مقام (عبد الله) المخلص المخلص! الذي

أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين⁽⁹¹⁾

وأما دعاء الاستيقاظ من النوم: فهو الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه الشور⁽⁹²⁾

91 - قال النبي ﷺ : (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقصه براحته إزاره؛ فإنه لا يدري ما خلقه عليه، ثم ليضطجع على سبع الأيمن، ثم ليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) متفق عليه.

92 - أخرج الشيخان أنه ﷺ (كان إذا أهد مضجعه من الليل وضع يده تحت خده، ثم يقول: باسمك اللهم أحيانا بعد ما أماتنا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه الشور) متفق عليه.

أخلص لله حتى صفا؛ فأخلصه الله إليه؛ فكان من المخلصين! وضربت المعاني بأجنحتها في عمق غيب لا طاقة لأحد من الخلق على سير أغوارها! فتولى الله جل جلاله لذلك إحصاء تلك المعاني، في حقيقة عبده المخصوص؛ بما شاء وكما شاء، بما لا ذرية لأحد من الملائكة الكتبة به؛⁽⁹³⁾ ولذلك قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى من الحديث القدسي: كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبع مائة ضعف! إلى ما شاء الله!

93 - قال الإنصاف عبد الرؤوف المناوي في فيض الصبر: يشرح هذا الحديث (وأنا أحري به صاحبه جوابًا مكررًا وأتم من الجزاء عليه بنفسه، فلا أكمله إلى منك مغرب، ولا أسلمه إلى ليلته سرِّيبي وبين عبيدي، لا يطلع عليه غيري!) ص: 171.

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
قال الله عز وجل: {إِذَا صُومْتُمْ فَذَكِّرُوا} فإنه لي وأنا أجزي
به! يدغ شهوته وطعامه من أجلي! (94)

فإن تكون من (الصائمين) حقاً، معناه: أن
تكون لله وبه! فإذا أنت: تسمع لا كما يسمع
الناس! وتبصر لا كما يبصر الناس! قال الحبيب
المصطفى ﷺ في الحديث القدسي: إن الله تعالى
قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب! وما
يتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت
عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى
أحبه! فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به،
وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها،

94- رَوَاهُ مُسْلِمٌ

186

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيتك، ولن
استعاضني لأعبدته! (95)

النوافل شئ.. نعم! لكن أصفاها مؤثراً
وأخلصها مسلكاً، وأقربها طريقاً موصلة إلى ذلك
المقام: هو الصوم! فهو بُرَاقُ الأوراد، أو الورد
الصامت، الناطق بكل شيء، من الخير والجمال!
إنه طريق سيار سريع! فلا تنس حظك منه! فأيامه
لحظات تخلص من الدنيا! تقضي الدنيا وتغنى..
وتبقى أيامه ضحى تمتد في الزمن الخالد!
الصوم، نعم! لكن هل أنت تعرفه؟ فتعرف
عليه أولاً! إنه تاج النوافل وزيتها، ومُحْ
أسرارها! تلك آيات الصوم تقرؤها، وتلك

95- رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

187

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
أحاديثه تسردها؛ وذلك الانقطاع عن شهوتي
البطن والفرج تعلنه؛ ولكن هل أنت تصوم؟
وإعنا الصوم: ما تحقق لك به الذكر، وإلا
فلا صوم! فهل أنت تصوم؟ اقرأ كلمات التوبة
هذه، وتذكر، ثم أبصر! قال رسول الله ﷺ: رب
صائم حظاً من صيامه الجوع والعطش! (96)

كيف الصوم الذي به يكون الذكر إذن؟
هذه آية من بصائر الصوم في طريق
الصائمين، لإدراك منبع الحكمة، والتعرف على
سر تلك النعمة! آية قد لا تخطر بصرها ببال!

96- رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ،
وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ،
وَقَم: 3490.

188

ميثاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
قال تعالى مخاطباً السيدة الكاملة، مريم الصديقة:
﴿قَامَا ثَرَيَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ (مريم: 26).
هكذا: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾: صمت مطلق
وقطعية تامة مع كل متكلم من الناس! نعم! ذلك
حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ (شُرْعٍ مَنْ قَبْلُنَا) هو منسوخ
بشريعنا (97)، نعم! ولكن الحكمة ما كانت لتُسخ
أبدًا! وقد يُنسخ الحكم وتبقى مقاصده ثابتة،
مستقرة في كل الدين إلى يوم الدين! وهذا منه.
وإليك البيان!

97- قَالَ ﷺ: (لَا صُنَاتَ يَوْمٍ إِلَى الْبَلَاءِ) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ،
وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَقَم: 7609 فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ.

189

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
لقد كان الصوم — ولم يزل في شريعتنا —
انقطاعاً وتبلاً إلى الله جل وعلا. إنه اشتغال به
وحده دون سواه؛ ولذلك توظف كل طاقات
الجسم والنفس معا في العبادة؛ والتوجه إلى الله،
بحيث لا تشتغل بطعام ولا بشراب ولا بجماع؛
حتى يرد الإذن بذلك من الرحمن! وتنقطع النفس
عن كل كلام من اللغو والصخب والرفث⁽⁹⁸⁾؛
حتى تصفو الكلمات بالفهم طيباً من الذكر، أو مما
يخدمه من ضرورات الكسب الحلال؛ فيعيش
المسلم بذلك لحظات يجد نفسه فيها كلها لله!
ويكون الصائم إذن صامتاً عن كل منازع

⁹⁸ - الصخب: الضجيج والصراخ، والرفث: فاحش الكلام
ومناقضه.

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الشهوات، فلا كلام يصدر عنه إلا ما عهد الله به،
أو خدم ذلك أصالة أو تبعاً تحقيقاً لحكمة النبوة
العظمى، إذ قال ﷺ في بعض وصاياه: (عليك
بحسن الخلق وطول الصمت! فوالذي نفسي بيده
ما تحمل الخلائق بمثلهما)⁽⁹⁹⁾ وصح من شأنه
عليه الصلاة والسلام أنه (كان طويل الصمت
قليل الضحك)⁽¹⁰⁰⁾ ذلك سمّت المنقطعين إلى
الله، من الأنبياء والصديقين. ولا شك أن من
مقاصد الصوم تدريب العبد على التخلق بأخلاق
ذلك المقام. ولذلك قال رسول الله ﷺ: ليس

⁹⁹ - رواه أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب
الإيمان، وحسنه الألباني، رقم: 4048 في صحيح الجامع.
¹⁰⁰ - رواه أحمد وحسنه الألباني، رقم: 4822 في صحيح
الجامع.

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
به! والصيام جنة⁽¹⁰²⁾، وإذا كان يوم صوم
أحدكم؛ فلا يرفث! ولا يصخب! وإن سابه أحد
أو قاتله؛ فليقل: إني امرؤ صائم! والذي نفس
محمد بيده! لخلقوا قم الصائم⁽¹⁰³⁾ عند الله
أطيب من ريح المسك! ⁽¹⁰⁴⁾ إنه انقطاع عن كل
صخب أو صراخ أو ضجيج! وانقطاع عن كل
جدل عقيم أو مرأى يجر إلى ذلك، وانقطاع عن
كل ما يمهّد أو يذكّر بالشهوات! ومن كان الله لم
يكن لغيره! حال من الصمت - طيلة اليوم - عن
كل ما لا يصب في بحر التعبد من الكلام. حال

¹⁰² - جنة: أي وفاة.

¹⁰³ - الخلاف: الرائحة الكريهة التي تخرج من قم الإنسان.

بسبب الجوع والعطش!

¹⁰⁴ - متفق عليه.

ميتاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
الصيام من الأكل والشرب! إنما الصيام من اللغو
والرفث! فإن سأك أحد، أو جهل عليك؛ فقل:
إني صائم! إني صائم! ⁽¹⁰¹⁾ إني صائم: بمعنى إني
منقطع عن الخلق إلى رب الخلق! منقطع أكلاً
وشرباً وشهوة، ومنقطع خطرة وفكرة وعبرة،
ومنقطع جسماً ونفساً! فلم يبق مني شيء لغير
الله! إني صائم! ويجمع ذلك كله حديث الرسول
ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى من الحديث القدسي،
قال عليه الصلاة والسلام: (قال الله تعالى: كل
عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي

¹⁰¹ - رواه الحاكم، والبيهقي عن أبي هريرة، وصححه الألباني

رقم: 5376 في صحيح الجامع.

ميتاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
 من الامتسلاص الكلي لله رب العالمين. حال من
 التوظيف الشامل لأعضاء البدن وأشجان النفس
 في حركة السير إلى الله. فأَي ذِكْرٍ أَذْكَرُ من هذا،
 وأي فِكْرٍ؟ ذلك هو الصوم! فهل أنت تصوم؟
 فليس عجباً أن يختص الرب الكريم
 للصائمين - وللصائمين فقط - باباً من ابواب
 الجنة لا يدخل منه غيرهم! قال ﷺ: إن في الجنة
 باباً يقال له: الرِّيَّانُ، يدخل منه الصائمون يوم
 القيامة. لا يدخل منه أحد غيرهم! يقال: أين
 الصائمون؟ فيقومون فيدخلون منه، فإذا دخلوا
 أغلق فلم يدخل منه أحد! (105).

105 - متفق عليه.

ميتاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
 الله وإياك بقوة العزائم في النفس وفي البدن!
 آمين.
 فأما المسلك الأول: فهو صيام ثلاثة أيام من
 كل شهر. هي الأيام البيض من الأشهر العربية،
 حيث تكتمل دورة البدر في السماء. وهي: أيام
 ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر. فقد قال
 رسول الله ﷺ: صوم ثلاثة أيام من كل شهر،
 ورمضان إلى رمضان: صوم الدهر وإفطاره! (107)
 وقال أيضاً: صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من
 كل شهر: صوم الدهر! (108)، وجاء ذلك

107 - رواه مسلم.

108 - رواه أحمد وأحمد والبيهقي عن أبي هريرة، وصححه الألباني،
 رقم: 3803 في صحيح الجامع.

ميتاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
 وتوافل الصوم في السنة الصحيحة كثير. إلا
 أن ما يمكنك التزامه من الصوم على سبيل الوَرَدِ
 الدائم هو: مسلكان اثنان. لك أن تختار بينهما،
 ولك أن تجمع بينهما، ولك أن تزيد عليهما بما
 صح في سنة المصطفى ﷺ. لكن؛ بشرط ألا تفضل
 على نفسك بما يؤثر على فرائض العبادات سلباً،
 أو بما يؤدي إلى الفجور الكلي ثم الانقطاع! ولا
 تنس نصيحة رسول الله ﷺ: اكلفوا من العمل ما
 تطيقون! فإن الله لا يعمل حتى تملوا! وإن أحب
 العمل إلى الله تعالى أدومته وإن قل! (106) رَوَدَنِي

106 - رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وصححه الألباني، رقم:
 حديث رقم: 1228 في صحيح الجامع.

ميتاق العهد = في مسالك التعرف إلى الله
 مفسراً في حديث آخر بتفصيل، وهو قوله ﷺ:
 صيام ثلاثة أيام من كل شهر: صيام الدهر! وهي
 أيام البيض: صبيحة ثلاث عشرة، وأربع عشرة،
 وخمس عشرة. (109) وقد صح أنه عليه الصلاة
 والسلام كان يلتزمها ورداً تعديداً. فعن ابن عباس
 رضي الله عنهما، أنه ﷺ كان لا يدع صوم أيام
 البيض في سفر ولا حضراً (110).

وأما المسلك الثاني فهو: صوم الاثنين
 والخميس من كل أسبوع، كليهما أو أحدهما،
 على حسب قدرتك. فقد ثبت قولهم ﷺ تعرض

109 - رواه النسائي، وأبو يعلى، والبيهقي عن جرير، وصححه
 الألباني، رقم: 3849 في صحيح الجامع.

110 - رواه العبداني، وصححه الألباني، رقم: 1848 في صحيح
 الجامع.

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
الأعمال يوم الاثنين والخميس؛ فأحب أن يعرض
عملي وأنا صائم! (111) وقد تواتر أن النبي ﷺ
كان يلتزم ذلك التزاماً؛ فقد صح أنه ﷺ: كان
يستحري صيام الاثنين والخميس! (112) وفي
حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام: (كان أكثر
ما يصوم الاثنين والخميس؛ فقل له؟) [أي مثل
عن سبب ذلك] فقال ﷺ: الأعمال تعرض كل

111- رَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، رَقْمًا: 2959

في صحيح الجامع.

112- رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ عَائِشَةَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ،

رَقْمًا: 4897 في صحيح الجامع.

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

تبصرة: في صوم المُقْلِينَ السابقين!

فإن لم تستطع التزام ورد من المسلمين
المذكورين؛ لعلّة تتعلق بالبدن، أو بطبيعة العمل
المهني؛ فَلَيْسَ عَوْضٌ عنهما عظيم؛ وذلك باعتماد
فرض العمر العابرة، من صيام النوافل السنوية
الكبرى. من مثل صيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء،
فقد صح فيهما قول الرسول ﷺ: صوم يوم
عرفة يكفر سنتين: ماضية ومستقبله! وصوم
عاشوراء يكفر سنة ماضية! (114) فمن
التزمهما معاً، أو أحدهما؛ ووُذِيَ لكل سنة؛ كان -
بعملية حسابة - كمن صام الدهر كله! ولك
أيضاً في صيام ستة أيام من شهر شوال، بعد

114- رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله
اثنين وخميس؛ فيغفر لكل مسلم إلا المتهاجرين،
فيقول: أخروهما! (113)

113- رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، رَقْمًا: 4804

في صحيح الجامع.

ميتاق العهد في مسالك التعرف إلى الله

صيام ستة أيام من شهر شوال، بعد رمضان من
كل سنة النتيجة عنها وربما أعظم! فقد صح قول
الرسول ﷺ الصريح الملبح: من صام رمضان،
وتبعه ستاً من شوال كان كصوم الدهر! (115)

ذلك إذن؛ هو الصوم؛ فَلَيْسَ السِّرُّ العجيب!
بُرَاقُ الأوراد، وواردها السري، وذكرها
الصَّامِت! حيث يُعْبَدُ الله بالتَّرك لا بالفعل! وما
أشدَّ التَّرك على النفس وما أعصاه! لو تدري يا
أيها السَّالِكُ احبب! أن تترك ما تترك الله يعني
أنك صرت من أهلها! (116) فاجعل على أورادك

115- رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السَّنَنِ الأربعة.

116- بِمَجْرُزِ اسْتِعْمَالِ عِبَارَةِ (أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ)؛ لَمَّا تَبَيَّنَ فِي
الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ
النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْلُهُنَ مِنَ النَّاسِ: أَهْلُ التَّوَكُّلِ وَنِعْمِ

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 ناجيا من الصوم مهما قل؛ تختصر الطريق إلى الله
 فتكن من أهل الرِّيان، متفردا مع الصديقين
 والربانيين!

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

خاتمة

وخاتمة الكلام - يا أخي - فاتحة عمل لي ولك
 إن شاء الله. إذ تحصل لك من هذا الميثاق ثلاثة
 عهود:

العهد الأول: ورّد الذكر

والعهد الثاني: ورّد القرآن والقيام

والعهد الثالث: ورّد البلاغ. وهو ثلاثة

مسالك: أولها المراقبة للصلوات؛ وثانيها مذاكرة
 القرآن، وثالثها بلاغ حقائق الإيمان في الناس.

فتعهد نفسك - أيها السالك الخب -

وأصحابك بالقرآن تدبّرا، وبلاغاً. فإن لم تجد لك

أهل الله، وخاصته (م) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم،
 وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: 2165.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 مجلساً قرآنياً، فأوجده، فإن لم تتمكن فاسلك ورد
 القرآن فرداً، ذاكراً ومتدبراً.

واحرص على ختمة العمر! وذلك بختم
 القرآن مدارساً. حتى يكون لك ذكره - بعد
 ذلك - سياحة في ملكوت الرحمن، وغداء متدفقا
 على الجنان، يحيى به القلب أبداً.

واجتهد لبلاغ الخير في الأمة؛ واجعل لك
 رفقة من التائبين؛ وتغرس لك ولهم جذورا
 برياض المسجد، ليستقيم لك رباط الصلاة
 صحةً. فهو خير لك من الدنيا وما فيها! وبهذا
 يتم تناسل الخير في الأمة. فتحاسب نفسك كل
 يوم؛ عن جديد صنعك من ذلك.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
 قال الأمر إذن إلى ثلاثة أعمال، هي مرجعك
 للمحاسبة والتقويم: رباط الصلاة، وورد القرآن
 والأذكار، ثم مجلس القرآن. إذا وثقت عهدك
 عليها كانت هي ميزان الصدق والوفاء، لعهد الله
 وميثاقه. فهل وفيت؟

فائت على عملك الصالح، ولا تنقطع عن
 الخير! ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت:
 (كَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلًا أَثْبُوتًا) 117
 أي: أداموه والتزموه!

وليكن مشربك من هذا كله مورد السلف
 الصالح عقيدة صافية، وسلوكاً ربانياً، وتربية
 التقوى، ويجلله الورع. ذلك أن ميدان الذكر،

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
وطريق السير إلى الله، كان منذ القديم مرلفاً
حرجاً، زلت بقممه أقدام، وتاهت في مسالكه
أقلام! لما زين الشيطان خدعةً واستدراجاً، لبعض
جهلة العباد، من مخالفة السنة والارتقاء في
مستنقعات البدع والخرافات.

فاحذر الحذر! مما لا دليل عليه من كتاب الله
وسنة رسول الله. فإثما الأوراد عبادات. وقد غلّم
في أصول الفقه: أن مثل هذه الأمور تؤخذ
بالقاعدة الشرعية القاضية بأن (الأصل في
العبادات المنع حتى يرد الإذن! وأن الأصل في
العبادات الإذن حتى يرد المنع!)

ثم اعلم بعد هذا كله أنه لن ينفعك من
عملك الصحيح ظاهراً، إلا ما خلص الله الواحد

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
القهار باطنياً فاحذر أن تكون من الأخسرين
أعمالاً، ممن وصف الله جل وعلا في القرآن
العظيم: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ
ضَلُّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (الكهف: 103-104) فابتك على
خطيتك، وفكر في مصرك، فإن كل آت قريب.
والعاقبة للمتقين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران: 200).
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد
أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله

فهرس المحتويات

5	مقدمة.....
31	الفصل الأول: في تأصيل العهد وميثاقه.....
45	تبصرة: كيف توثق العهد؟.....
51	الفصل الثاني: في عهد الذكر.....
53	تبصرة: في أن الذكر هو مسلك المفردين السابقين!.....
61	تبصرة: كيف نذكر الله؟.....
72	تبصرة: في مسلك الذكر القرآني.....
74	تبصرة: في أخذ القرآن بمنهج (القلبي)
85	تبصرة: في مسلك الذكر النبوي.....
95	تبصرة: في مجلس الذكر.....
103	الفصل الثالث: في عهد القرآن والقيام.....

ميثاق العهد ————— في مسالك التعرف إلى الله
وكتبه بمكناسة الزينون فريد بن الحسن
الأنصاري الخزرجي عفا الله عنه وغفر له ولوالديه
ولسان المسلمين، وكان تمام تصنيفه وتنقيحه بحمد
الله يوم الأحد 21 ربيع الثاني 1424هـ/ 06/22
م2003

107	تبصرة: في أوقات القرآن.....
114	تبصرة: في قرآن القيام.....
127	الفصل الرابع: في عهد البلاغ.....
129	تبصرة: في المفاتيح الثلاثة.....
141	تبصرة: كيف البلاغ؟.....
145	الفصل الخامس: في المختار من الأذكار.....
184	تبصرة: في براق الأوراد.....
200	تبصرة: في صوم المقلين السابقين.....
203	خاتمة.....
209	فهرس المحتويات.....

انتهى بحمد الله